الشكوى في الرسائل الموحدية: رسائل ابن مبشر (إنموذجًا)
(دراسة موضوعية فنية)

محمد رمضان عبد الوهاب

مدرس بقسم اللغة العربية– كلية الآداب – جامعة المنيا

مقدمة

يُعدُّ فن الرسائل من الفنون النثرية التي حفل بها أدبنا العربي في مختلف عصوره، وإن لم يقدر له الرواج في العصر الجاهلي نظرًا لعدم ذيوع الكتابة، واقتصارها على أهل البادية،" أما الكتابة الفنية فلم يعرفها ذلك العصر، ولم تصل إلينا منه أية شواهد كتابية فنية إلا في فترة زمنية متأخرة في العصر العباسي وما بعده"(١). فمع ظهور الإسلام، ومراسلة النبي _صلى الله عليه وسلم_ لرؤساء القبائل، والممالك المجاورة للعرب، كُتب لهذا الفن البزوغ، ومن ثم ظهر الكاتب الذي يجيد الترسل بجوار الشاعر المُجيد، حتى تطور هذا الفن مع عبد الحميد الكاتب في نهاية العصر الأموي، وابن المقفع، وبديع الزمان، وغيرهم في العصر العباسي(٢).

كما حفل الأدب الأندلسي بتطور فن الرسائل في مختلف عصوره، وإن جاء في بداياته مُحملًا بالأصول التقليدية للمشارقة، فكانت الرسائل ذات أغراض محددة، فرضتها طبيعة العصر، وكان الكتاب لا يلتزمون بالأسجاع، إلى أن حظيت الكتابة النثرية بالشعراء الذين جمعوا بين مزية الإبداع الشعري، والتألق الكتابي؛ فأضفوا على الكتابة النثرية الذوق الأدبي، ورونق الصنعة والجمال، وارتقوا بالأساليب التعبيرية المختلفة، وتطرقوا لجميع الموضوعات الأدبية. ومن أشهرهم ابن شهيد وابن زيدون وابن حزم، فضلًا عن التنميق والصنعة الفنية في رسائل المتأخرين أمثال لسان الدين بن الخطيب وغيره.

ومن ثم ظهرت الأسجاع وما بها من موسيقى إبداعية " ولم يقتصر التجديد في النثر الأندلسي على اعتماد السجع والاهتمام به، بل يلاحظ هذا التجديد حتى في أسماء الكتب الأندلسية، وفصولها من ذلك مثلا كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه"(٣). ويرجع فضل هذا التجديد " لجمال الطبيعة الأندلسية المثير الموحي، والرفاهية التي شملت

المجتمع الأندلسي، ويسر حال ذوي المواهب والقابليات بما كانوا يقابلون من حكام الأندلس من إكرام وتكريم، لدرجة جعلتهم يتفرغون للإنتاج الفكري"([٤]).

وتعد الرسالة " قطعة من النثر الفني تطول أو تقصر تبعًا لمشيئة الكاتب وغرضه وأسلوبه، وقد يتخللها الشعر إذا رأى لذلك سببا... وتكون كتابتها بعبارة بليغة، وأسلوب حسن رشيق، وألفاظ منتقاة، ومعان طريفة"([٥]). وقد حفلت المصادر الأندلسية وعلى رأسها الذخيرة، ونفح الطيب بالكثير من الرسائل؛ ومن أشهر ألوانها الرسائل الديوانية وهي" الصادرة عن ديوان الخليفة، والأمير يوجهها إلى ولاته وعماله وقادة جيوشه، بل إلى أعدائه أحيانًا منذرًا متوعدًا"([٦]). واعتمدت هذه الرسائل على " المعاني الدينية فكان الكاتب يضمنها الآيات التي تتحدث عن تكاليف الجهاد، باعتباره فريضه شرعها الله لحماية دينه وإعلاء شأنه "([٧]). كذلك الرسائل الإخوانية والمراد بها " الكتابة الدائمة بين الأصدقاء "([٨])، وهي التي " تعبر عن عواطف الأفراد ومشاعرهم، من رغبة ورهبة ومديح وهجاء وعتاب واعتذار واستعطاف، وتهنئة وتسامح ورثاء وتعزية"([٩]). فضلًا عن الشفاعات والشوق والاستزارة والاستعطاف والشكر والمداعبة والشكوى([١٠]). ومن ثم جاءت الشكوى من أهم موضوعات الرسائل في الأدب العربي بصفة عامة، والأندلسي بصفة خاصة.

تناول الكتاب الأندلسيون الشكوى في أغراضها المختلفة، فقد شكوا الزمن وأهله، وقلة الوفاء، وكثرة الفساد، وشكوا الفقر الذي لازم بعضهم، والمرض الذي ألمَ بهم، فمن شكا الزمان وأحواله ابن التاكرني برسالة لأبي جعفر بن العباس، وكذلك ابن خفاجة في رسالة يشكو فيها فساد الأحوال وذهاب أيام الصفاء وود الأحباب، كما شكا بعض الكتاب سوء أحوالهم النفسية والصحية، وذهاب بعض أجزائهم أمثال أبي المغيرة بن حزم([١١]).

يحاول هذا البحث دراسة (**الشكوى في الرسائل الموحدية: رسائل ابن مبشر إنموذجا**)، فيتخذ متنًا لدراسته؛ مضمون الشكايات عند ابن مبشر، ومحاور موضوعاتها، وبنيتها الفنية، ويعتمد على **المنهج الموضوعي والفني** منهجًا للدراسة؛ للكشف عن أنماط الشكايات الموجهة للبلاط السلطاني، وتجلياتها في الرسائل الموحدية

عند الكاتب مضمونًا، فضلًا عن التشكلات الفنية، ومجالاتها المختلفة داخل بنية الشكوى، مع التوقف مع بعض الإشارات الثقافية الوجيزة، خاصة أنساقها المضمرة خلف سياقات الخطاب المقدم في المبحث الأول على وجه التحديد.

ولا توجد **دراسة سابقة** تناولت الكاتب(ابن مبشر)، ورسائل الشكوى عنده، وإنما جاءت بعض الدراسات متطرقة للشكوى في الأدب الأندلسي بصفة عامة، خاصة شعره من مثل: الشكوى من العلة في أدب الأندلسيين لعبد الله بن علي بن ثقفان، وجاءت جميعها في الشعر متمثلة في العلل الذاتية والاجتماعية والفكرية، كذلك دراسة الشكوى في الشعر الأندلسي (عصر المرابطين إنموذجًا) لصفاء النور علي النور عام ٢٠١٧، وهي مقدمة للماجستير، وتحدثت فيها شعريًا عن الشكوى الذاتية والقومية، كذلك الشكوى في الشعر الأندلسي من الفتح حتى سقوط الخلافة، لوليد عمر علي، المقدمة لنيل الماجستير من الجامعة المستنصرية، وتحدث فيها شعريًا عن الشكوى الذاتية، وشكوى الزمان والمكان، والشكوى من الظروف السياسية والاجتماعية. أما الدراسة النثرية الوحيدة في الشكوى الأندلسية؛ فهي دراسة (أدب الرسائل الديوانية في المغرب والأندلس في عهد الموحدين) لمحمود محمد عبد الرحمن خياري، المقدمة لنيل درجة الماجستير من الجامعة الأردنية عام ١٩٩١، وقد تحدث فيها الباحث عن موضوعات الرسائل الديوانية الموحدية مثل البيعة والتقادم، والمعاهدات والجهاد، والاعتداءات، والشكايات التي جاءت في أربع صفحات فقط، وجميعها ديوانية من الخلفاء، والأمراء، والوزراء إلى الملوك المجاورين في إفريقيا، اللهم إلا إشارة وجيزة لشكاية واحدة لابن مبشر، دون التصريح باسمه، في أربعة سطور تحمل نص الشكوى فقط؛ ومن ثم لا توجد دراسة عنيت بالشكوى عند ابن مبشر موضوع دراستنا.

التعريف بالكاتب وشكاياته

لم تتوقف المصادر الأندلسية بتراجمها الكثيرة مع ابن مبشر، إلا ما جاء في الذيل والتكملة في إحدى هوامشه عند الترجمة لأحد قضاة الموحدين، وبيوتاتهم ممن تعرض لهم الكاتب في شكاياته بقوله: " ونقف في مجموع رسائل موحدية (مخطوط بالخزانة الملكية) على رسالة كتبها ابن مبشر(أبو العباس أحمد بن مبشر من شيوخ

أبي عبد الله بن حماد الصنهاجي) إلى يوسف بن عبد المؤمن الخليفة"([١٢]). وقد رفع ابن مبشر خمس شكايات متنوعة أغراضها إلى الخليفة الموحدي الثاني يوسف بن عبد المؤمن([١٣])، قام بجمعها وتحقيقها أحمد عزازي تحت عنوان (الملحق الثاني: رسائل في موضوع الشكايات) ضمن الجزء الأول من كتاب رسائل موحدية (مجموعة جديدة) بقوله: " عادة ما يحصل في الفترة الانتقالية بين حكم خليفة وآخر نوع من عدم الاستقرار، قد يرافقه إهمال المسؤولين في الجهات البعيدة عن العاصمة لأحوال عامة الناس، ويحاول الخليفة الجديد أن يفتح مجلسه لسماع المظالم، فتكثر الشكايات، وأحيانًا حتى من النوع الذي لا يحتاج أن يرفع إلى الخليفة بنفسه، وهذه بعض الرسائل الموجهة فيما يبدو إلى الخليفة الموحدي الثاني يوسف أبي يعقوب، بعضها قبل الاتفاق النهائي على خلافته فيما بين ٥٥٨ و ٥٦٣ حيث كان يكتفي بلقب الأمير، وبعضها بعد الاتفاق على خلافته، وتسميته بأمير المؤمنين منذ سنة ٥٦٣، وهذه الرسائل هي من إنشاء الكاتب ابن مبشر"([١٤]).

وتتوقف الدراسة مع رسائل الشكوى عند ابن مبشر من خلال مبحثين: الأول: أنواع الشكوى في رسائله، ومعرفة مضمونها الاجتماعي والسياسي والنفسي والاقتصادي، والمبحث الثاني: آليات التشكيل في رسائل الشكوى عند الكاتب من بنية الشكل والمضمون، والبناء الفني بمجالاته المتعددة، فضلًا عن البناء الأسلوبي بمستوياته المختلفة. ويمكن التوقف معهما على النحو الآتي:

المبحث الأول: أنواع الشكوى عند ابن مبشر

تعنى الشكوى" التوجع من شيء تنوء به النفس كالمرض، والشيخوخة، والموت، والدهر، وغير ذلك من المظاهر والحالات التي قد تعرض للشخص فتكدر عليه صفو الحياة، ويشعر إزاءها بالهموم وشدة اليأس"([١٥]). فهي بمثابة صرخة، يجد الكاتب فيها راحته المؤقتة، ويسعى من خلالها لتحقيق مطالبه. و" تنبعث الشكوى من الشعور بالتعسف أو الحرمان نتيجة ما شاع في المجتمع الإنساني من الفوضى والاعتداء على الحقوق وعدم الاهتمام بالمبادئ الإنسانية، فكلما راج الحرمان والظلم ضد الإنسان زاده حسرة وشكوى"([١٦]). لم تكن الدولة الموحدية وخلفائها في معزل عن الرعية، وهمومها،

وقضاياها في المغرب والأندلس، فكثيرًا ما كانوا يعمدون لعقد المجالس السلطانية المتكررة؛ للنظر في أحوالهم، والقيام على أمورهم، والبت في قضاياهم، والسماع لشكايتهم المرفوعة إليهم. وقد " تميزت كتب الاعتداءات والشكايات عن غيرها من الرسائل الديوانية الأخرى بأسلوب التهديد والعنف الشديد من جهة، وأسلوب الترغيب والملاطفة من جهة ثانية، فهي بذلك تعكس صورة المجتمع الموحدي من الداخل والخارج"([١٧]).

وقد تعددت الشكوى في البلاط الموحدي، واتخذت أشكالا كثيرة، وأنواعًا مختلفة؛ رصدت من خلالها ملامح المجتمع في عصر الموحدين، والوقوف على مشكلاته المختلفة سوء أكانت مجتمعية، أم سياسية، أم اقتصادية، أم ذاتية نفسية، فقد يشكو الكاتب أمور الساسة، وبعض المشكلات المجتمعية بين الرعية، والقضايا الاقتصادية بمختلف أمورها، فمصادر الشكوى مختلفة" فمنها ما تعود إلى عدم تحقيق الطموحات والإحساس بالإحباط والفشل فيها، ومنها ما تنبعث من الظروف السائدة على المجتمع من الأخلاقية والسياسية والدينية، ومنها ما تنشأ عن خصائص الشخص النفسية، وما جبل عليها. فمن هذا المنطلق تعتبر الشكوى ذلك الطريق الوحيد للإبانة عن الوجع الداخلي الذي يعانيه الإنسان إزالة للهموم والآلام"([١٨]). ويمكن التوقف مع أنواع الشكايات، وأنماطها في الرسائل الموحدية، ومعرفة مضمونها وأنساقها الثقافية من خلال رسائل ابن مبشر على النحو الآتي:

المطلب الأول: <u>الشكوى الاجتماعية</u>

تُعد الشكوى الاجتماعية من أهم أنواع الشكايات في الأدب الأندلسي؛ لما يحمله مجتمع الكاتب من أمور يرفض وجودها مجتمعيًا، من مشكلات وعادات وتقاليد وتصرفات، وقضايا مطروحة؛ فيقع على كاهله مهمة الدفاع عن المجتمع ورعيته، ويحمل شكواهم إلى الحُكام، والساسة؛ للنظر فيها، والعمل على تقويمها. ومن ثم " كان أدبه صدى لتلك النكبات الكبرى"([١٩]). فـ " إذا كان المفكر الأندلسي قد شكا في أدبه ما حل ببلاده وأهلها، فإن ذلك جاء من قبل التفاعل مع ما حوله، فإذا كانت البيئة الأندلسية قد أسهمت في تكوين شخصية المفكر، وذلك بما غرست فيها من إحساس

بالجمال وميل للأدب، فإنها أيضًا قد غرست فيها روح التفاعل مع الأحداث المحيطة، تلك التي مثلت همًا حقيقيًا عانى منه كما عانت منه أمته في تلك الجزيرة"([٢٠]).

وبالنظر في رسائل ابن مبشر فقد حملت الشكوى الأولى معاناة مجتمعية جراء فتك القاضي في الرعية بأحكامه ظلمًا وبهتانًا، مستعينًا بسلطته السياسية، فقدم الكاتب صورة المجتمع الذي يعايش الخوف والذعر، والبطش من قبل هذا قاضيهم؛ فهو محب للنصارى، كارهً للمسلمين، ويحمل النص نسقًا مضمرًا؛ تمثل في معايشة القوم للحياة الذليلة، والجور على كرامتهم التي ألبستها لهم الدولة الموحدية، فضلًا عن عدم تخلص هذا القاضي من ولائه للنصارى؛ فقد كان يخدم مكوسهم قبل القضاء على دولتهم، وربما يكون هذا البطش نتيجة لما يضمره في قلبه تجاه الإسلام ومنتسبيه بقوله: " كان قاضيًا في أيام النصارى_ دمرهم الله_ يخدم مكوسهم، ويفدي بنفسه الخائنة نفوسهم، وقد اتخذ أعوانًا ووزعة، وأبرز شنعة وبدعة...ويضرب ظهور المسلمين بغير حقها، ويضربهم بالسياط إيقاعًا، ويملأ قلوبهم ذعرًا مخيفًا وارتياعًا..."([٢١]). فشكوى الكاتب تحمل الرغبة في تخليص الرعية من شر أحكامه، وعودة المجتمع الموحدي لسابق عهده، تسوده الكرامة والألفة بقوله: "... من العباد الذين خفرتهم ذمة سيدنا ومولانا ورحمته، وتكنفتهم رأفته ومحبته، وكتب لهم كتابًا يعنو له كل من قرأه ويذعن، ويوغل في بره وتكرمته ويمعن، ومع ما نال العباد من الكرامة الكريمة، والأيادي الجزيلة العميمة.."([٢٢]).

كما تضمنت الشكوى الثانية شكوى اجتماعية ثأرية، عانى صاحبها من فقد أخيه ظلمًا، وافتراءً من شريكه، ويقدم الكاتب شكوى الرجل مفسرة إلى الأمير؛ إذ أودى الشريك بحياة أخيه بموتة شنيعة، وفر هاربًا بقوله: " أن أخي عدا عليه شريكه فشدخ في حال نومه بأزرية رأسه أذهبت حياته وأفاتت نفسه"([٢٣]) الأمر الذي يتبعه مطالبة الكاتب بثأر الرجل لأخيه، مرفقة بضعفه_ الشاكي_ فقد أظهره الكاتب متراخيًا؛ إذ لم يرفع شكواه إلى الأمير إلا عندما توعده القاتل بملاحقة أخيه، والقضاء عليه والفتك به بقوله: " ثم رجع الآن وتواعدني بالإهلاك والقتل، وقال سأفعل به ما فعلت بأخيه من قبل؛ وها أنا .. قد لذت بحماكم.."([٢٤]). فالنص يحمل سلبية الرجل المضمرة فضلًا عن

جبنه، فقد تجاهل موت أخيه لحين وصول الضرر إليه. كما حمل النص سلبية مجتمعية أخرى تمثلت في تجمع الأهالي حول أخيه مقتولًا، دون أن يظهروا نخوتهم وحميتهم العربية بالإمساك بالقاتل، أو بملاحقته، واقتصر دورهم على الصياح والتجمع_ قول بلا فعل_ بقوله:" فتصايح الناس عند ذلك، وأتوا من هنا وهنالك، فوجدوا أخي وعاينوه مضرجًا في دمه، مصرعًا بيديه وفمه"(٢٥).

ويختتم الكاتب شكوته الاجتماعية شكلًا، النفسية الذاتية مضمونًا من خلال الاستغاثة والاستنجاد بالأمير _للرغبة في بقاء الرجل _ بضرورة الإمساك بالقاتل وإحضاره، ومحاكمته على جريمته بقوله: "فعسى أن يُنهَى إلى الطلبة _ أكرمهم الله_ بموضوع كذا أن ينفذا من يتكفل بإحضاره، ويزعجه عن أهله وداره، حتى تمكن محاكمته، وتتأتى مقاعدته ومخاصمته"(٢٦). فالكاتب على لسان الشاكي يتحصن بالأمير، وسلطته خوفًا من بطش قاتل أخيه، فحمل النص نسقًا مضمرًا تمثل في الضعف، وهشة الشخصية العربية، وعدم المطالبة بالثأر المتمثلة في الكاتب الأمر المنافي للعربي وقيمه. ولعل في قوله :" فتصايح الناس عند ذلك.... وعاينوه"(٢٧) نسقًا مضمرًا يوحي بتراخيهم، وجبنهم جراء بطش القاتل. كما يبدو أن الخلاف كان ماديًا؛ إذ نعت القاتل بالشريك، فضلًا عن وحشيته في الفتك برفيقه بأرزية أودت بحياته في الحال(٢٨). ويبدو لنا من خلال مساءلة النفس في أسباب دفع القاتل لملاحقة الرجل، ورغبته في النيل منه، على الرغم من عدم مطالبته بثأر أخيه، بأن الدافع ما هو إلا حب القاتل لسفك الدماء وإراقتها، وتشبثه بالجرائم، ومن ثم العبث في المجتمع وأهله.

كما حملت الشكوى الثالثة شكوى اجتماعية مريرة توحي بالتفكك الأسري، والجور على حقوق أفرادها، ومخالفة الشرع في اقتسام ميراثها؛ إذ تمثل في جور الإخوة على أخيهم، وحرمانه من ميراثه، على الرغم من مساهمته لهم في جميع حقوقهم وواجباتهم؛ الأمر الذي أصابه بالحزن، ودفعه لرفع شكوته من خلال ابن مبشر إلى الأمير بقوله: " فإني إخوتي جاروا علي يوم اقتسامهم، وسلوني كما تسل الشعرة من العجين من أسهامهم، فلم يفرضوا لي منها فريضة بل غادروا حصتي منها منقوصة مغيضة، وقد سددت إخوتي نصالها. وأساءت معي... وأنا .. أشهد مشاهدهم...

ويطوون عني فوائدهم"([٢٩]). يسعى الكاتب من خلال شكوته للعدل من ناحية، وحصول صاحب الشكوى على حقوقه المسلوبة، ورغبته في صلة الرحم، وعودة ترابط أسرته من ناحية أخيرة بقوله: " وعدلكم_ أدام الله تأييدكم_ يحكم بالسواء ويعصم بالشرب على الأقذاء... والله عز وجل يفل بعدلكم المبسوط شباهم، ويسوي بالحضيض الأوهد رباهم، حتى تتساوى وتتناصف، وتتعالم بعد التناكر وتتعارف، وتتذاكر حقوق الرحم المشتبكة وتتواصف"([٣٠]). ويحمل النص نسقًا مضمرًا تمثل في التهميش الأسري لأحد الأفراد؛ إذ يشاركهم واجباتهم، ويسلبونه حقوقه. كما أظهرت الشكوى المجافاة بين الأخوة وتنازعهم، بل وصل الأمر إلى العداء والأذى متمثلًا في قوله مستغيثًا بالأمير: " ويكف عني أيدي المؤذين عن الأذى"([٣١]). وكأن الأمر به تربص وخيفة، ولعل في نعته لأخونه بالمؤذين ما يوحي بمرارة العلاقة، وحجم المعاناة. فالأمر لا يقتصر على عودة الحق، بل للتحصين من إخوته وأواصر رحمه؛ بما يوحي بتدهور المجتمع الأندلسي في عهد الموحدين. ولنرى حجم المعاناة في قوله(إسلاله من حقوقه_ حصته المنقوصة_ يطوون عنه فوائدهم) فهي معاملة أقرب للغريب والعدو. فالشكوى على الرغم من تداخل ذاتيتها واقتصاديتها إلا إنها شكوى اجتماعية بحتة؛ تناقش قضية أسرية شائكة في المجتمع العربي منذ قديم الأذل. فهي صورة كلية لمجتمع متهالكة أوصاله.

كما تضمنت الشكوى الرابعة أخرى اجتماعية، حملها الكاتب في رسالته إلى الأمير تحدثت عن معاناة زوجة من معاملة زوجها؛ الأمر الذي دفعها للتضحية بجميع أموالها للخلاص منه بقوله: " فإن أمَتكم رُميت من زوجها فلان بداهية الدهر ... وصير أخوف من سمة الضرغام مجالها، لج في إصراره على إضراره، وعزم على إبايته ترك إذايته؛ وقد اضطرني بما سامنى من الخسف، وركبني به من العنف والعسف، حتى اختلعت منه بكثير من مالي، ورضيت العدم ثمنًا لرخاء بالي، فما أجابني إلى مطلوبي، ولا أسعفني في مرغوبي"([٣٢]).

فتتمثل المعاناة في قوله رُميت من زوجها بداهية الدهر، الأمر الذي يصف وحشيته، مخالفًا بذلك الشرع والأعراف. فقد وصفه بالضرغام لجفاء معاملته، وجبله على المفسدة مُصِرًا، وعلى النقيض يقدم الكاتب سعى الزوجة لإرضائه بقوله (حسن

العشرة مجالها)، ورغبتها في إصلاحه، وحشد الأوصال المقطوعة في علاقتهم الأسرية، لكن دون جدوى؛ الأمر الذي دفعها إلى الرغبة في الخلاص منه. وفي قولها (اختلعت منه بكثير من مالي) حجم المعاناة وتصويرها، ورغبتها الملحة في الابتعاد عنه، فهي تريد إنفاق كل ما تملك، ورضاها بالعدم ثمنًا لراحة بالها، وهنية عيشتها. كما قدم الكاتب البيت بالسجن، والزوجة بالأسيرة والأَمَة من خلال قوله: " وعدلكم... يفكني من إساره، ويحل عنقي من ربقة اقتساره"(٣٣). فالزوجة تفقد حريتها في بيتها بعد تسيدها له، فقد وقعت في الأسر والعبودية، ولا تجد المودة والسكينة، على الرغم من حسن عشرتها، وإنفاقها عليه. ولعل في قوله :" والله لا يعدم الملهوفة المضطهدة من نظركم المؤيد بالسداد"(٣٤) ما يوحي بعِظَم القضية، وما آلت إليه الزوجة. كما حملت شكوى الزوجة، ورغبتها في الخلاص قضية مجتمعية حديثة، وشائكة تُمثل في إرهاصات (الخُلع) المنتشر في عصرنا حديثًا.

فقضية الشكوى وموضوعها تتمثل في التفكك الأسري، والمعاملة الوحشية من قبل الزوج، وسعى الزوجة لإصلاحه، وإنفاقها جل ما تملك إرضاء له. فالشكوى اجتماعية وحملت قضية أسرية، وناقشتها من جوانب عدة؛ أبرزها سعي الزوجة إلى حُسن العشرة، والإنفاق والمساهمة؛ الأمر الذي قوبل بوحشية التعامل، والعنف الأمر الذي أشعرها بالرق، وفقدان الآدمية من قبل زوجها، بل وصل الأمر لإرضائها بالعدم مقابل حريتها، وكأنه سك العبودية. فالكاتب يرفع شكوته متضامنه معها، راجيًا من الأمير _ضمنيًا_ بخلاصها من زوجها.

كما تطرق إلى كثرة المشاكل الأسرية من خلال النسق المضمر في أحكام القاضي في رعيته في الشكوى الأولى؛ فنراه يحكم فيهم بالباطل؛ إذ رد الزوجة بعد طلاقها ثلاث، دون محرم، وإن حمل النص النسق المضمر المتمثل في المشاكل الأسرية وتفشيها، وكثرة الخلافات الزوجية داخل المجتمع الموحدي بقوله: "ومن نوازله القبيحة، الشاهدة عليه بالفضيحة، أنه رد امرأة تسكن منزل النورين، وقد طلقها زوجها ثلاثًا، فردها إلى زوجها ونقض عرى الشرع أنكاثًا، وأخذ على ذلك عشرة دنانير أكلها

سحتًا، وحكم بالباطل بحتًا"([٣٥]). كذلك وجود الرشوة والسعي إليها، وقبولها من قبل الزوج والقاضي؛ بما يوحي باستفحال عاهات المجتمع، وأضراه آنذاك.

كما حملت الشكوى الخامسة شكوى اجتماعية مضمرة، تمثلت في استيلاء تجار السوق على أموال أغراب التجار، ومطالبتهم بدفع العديد منها، مخالفين أعراف الدولة الموحدية، وسياستها المجتمعية؛ الأمر الذي يوحي بتفكك المجتمع وعناصره، ويبدو أن المدن البعيدة عن حاضرة الخلافة الأندلسية كانت تعاني من هذا الأمر([٣٦]). كما حملت الشكوى حسن جوار، وطيب صنيع من قبل صاحب الشكوى، والتزامه بالأعراف المجتمعية بقوله: " أنه يسكن بحارة الطرامنة فأدى ما عليه مع جيرانه، وجرى في طلق التناصف معهم وميدانه.."([٣٧]). كما أوضحت الشكوى صفة الالتزام من قبل الرجل فهو : " لم يصفق قط في سوق، ولا كان له مع أهل السماط اتصال ولا لصوق"([٣٨]). فالكاتب يوضح سطوة بعض أفراد المجتمع الموحدي ممن لهم النفوذ، والهيمنة على الرعية، وسلبهم حقوقهم المادية والمعنوية، على الرغم من وجود ثنائية ضدية؛ تتمثل في حرص الرجل الشديد على التلاحم والترابط من ناحية، وسعيه للتجنب والتفرد خشية الإقحام فيما لا يعنيه من ناحية أخيرة!

فمن خلال ما سبق نستنتج: أن الشكوى الاجتماعية تجلت في شكايات ابن مبشر من خلال موضوعات عدة؛ تمثلت في زعر الرعية وفقد كرامتهم الأدمية في المجتمع الموحدي في المغرب وإفريقيا من قبل قاضيهم، وفتكه بهم وبطشه بأحكامه فيهم، فضلًا عن ولائه للآخر الديني المتمثل في النصارى. كذلك الرغبة في الثأر وبقاء النفس، والتفكك الأسري بسلب الحقوق المشروعة سواء الميراث، أو سوء المعاملة من قبل الزوج لزوجته، بما يتنافى مع تعاليم الدين والأعراف. كما حملت الشكوى الاجتماعية رؤية الكاتب الشخصية مضمرة وصريحة، وإن كانت على لسان مشتكيها، تمثلت في الرغبة في العدل والمساواة في الحقوق، وأخذ الحق من سالبيه، والرغبة في العيشة الهنية التي لا تشوبها الاضطرابات والقلاقل، سواء من الرجل الذي فقد أخيه، ويخشى زهق روحه، وكذلك الزوجة، والقضاء على الخلافات الأسرية، وقمع الظلم والجور والتحكم في المصاير سواء من قبل الأخوة الذين سلبوا حق أخيهم، أو من الزوج

الذي يهين زوجته، أو القاضي الذي يتكئ على سطوته السياسية، ويحكم بأهوائه، إضافة إلى تحكم التجار في مجتمع الأغراب، وزائري مجتمعهم، والرغبة في صلة الرحم، وتشابك المجتمع بأواصر الألفة والود، فضلًا عن رفضه التهميش الأسري والمجتمعي معًا.

المطلب الثاني: الشكوى السياسية

تُعد الشكوى السياسية من أهم أنواع الشكايات في الأدب الأندلسي؛ لما حملته الأندلس من صراعات سياسية، وفتن وقلاقل منذ الفتح، وحتى سقوطها، وقد عبر الكتاب الأندلسي عن المشكلات السياسية، وتعنت الساسة بأحكامهم، وإداراتهم لشئون الحكم بالعنف، والقسوة في مجتمعاتهم وبين الرعية، وقد تطرق ابن مبشر في رسائله للخليفة لبعض هذه الأمور، ومن خلال أصحاب الشكايات بقضاياهم المرفوعة إلى الحاكم، وإخباره بما يدور في دولته، خاصة في الأقاليم التي تبعد عن حاضرتهم، والنظر فيها بما يتضمن رفعة الدولة الموحدية، وذلك على النحو الآتي:

تضمنت الشكوى الأولى المرسلة من خلال الكاتب شكوى سياسية تمثلت في شكوى القاضي عتيق بن مكسور الجنب([٣٩]) قاضي بلاد المغرب كما يبدو من تلميحات الكاتب بقوله حضر من الحضرة الخلافية من إفريقيا، وكذلك صاحب الشكوى([٤٠]). فيستنكر الكاتب اسمه، وسياسته خاصة التعاملية، والحُكمية التي تحمل في طياتها العتب على الإمارة الموحدية في الأندلس؛ فهم المسؤولون عن توليته، على الرغم من خصاله السيئة.

يسرد الكاتب خصاله؛ فهو قاضٍ من أيام سيطرة النصارى على المدن المغربية، ويدين بالولاء لهم؛ الأمر الذي يدفعه للتعامل مع الرعية المسلمين بالوحشية، وكأنه يُخفي عقيديته، وهويته، ومن ثم تحول من خلال النسق المضمر إلى آخر ديني، له معتقده الذي يدافع عنه من خلال أحكامه الباطلة من ناحية، ومخالفة الأعراف والتقاليد الحكمية لدولة الموحدين الذين أقروا لهم بالكرامة، والعزة وصون النفس من ناحية أخيرة، ويحمل ضمنيًا رفض سياستهم، ويحاول تبغيض الناس منها من خلال أفعاله بوصفه في الشكوى: " كان قاضيًا أيام النصارى_ دمرهم الله_ يخدم مكوسهم،

ويفدي بنفسه الخائنة نفوسهم... يضرب ظهور المسلمين بغير حقها... من العباد الذين خفرتهم ذمة سيدنا ومولانا ورحمته، وتكنفتهم رأفته ومحبته...ومع ما نال العباد من الكرامة الكريمة، والأيادي الجزيلة العميمة"([٤١]).

ويمكن أن نجمل صفاته من خلال الشكوى؛ لمعرفة مسعى الكاتب ورغبته، فهو يختار أعوانه على شاكلته من الظلم والتجبر بقوله: " قد اتخذ أعوانًا ووزعة، وأبرز شنعة وبدعة، وقد بعد عن معرفة التوحيد وعلمه"([٤٢]). فيأتي العجب في تعينه قاضيًا يحكم في أمور المسلمين، ولا يعرف كثيرًا عن الدين وأموره، فهو نسق مضمر يقدمه الكاتب، وله فيه مآربه. كما إنه يبتعد في حكمه عن الصواب، وبلا مشورة، أو دلائل نصية بقوله: " يحكم فيهم بالنوازل، بلا رأي القائل، ويقضي في الحوادث، بالنظر العابث، يسلك في سبل المظالم وطرقها"([٤٣]). ولعل في سعيه للمظالم، وطرقه أبوابها ما يعكس قبيح صنعه. كما أن كتاباته للرعية لا تحمل النقاش، ولا الأخذ والرد، فهي صارمة، تحمل الاضطهاد والتعنيف قوله: " وكتب لهم كتابًا يعنو له كل من قرأه ويذعن، ويوغل في بره وتكرمته ويمعن"([٤٤]). ولعل في تقديمه الثنائية الضدية بين صنيع القاضي، والأمير في الرعية ما يحمل الوسيلة والحيلة التي قدمها الكاتب؛ لكسب ود الأمير من ناحية، واستفحال عظم أفعال القاضي الذي ينافي ويعادي قيم الدولة الموحدية من ناحية أخيرة. كما تحمل صفاته بطشه، وإصابته بالذعر للناس والخوف؛ الأمر الذي قد يؤثر في ولاء الرعية للموحدين، وهي أنساق سياسية يسعى إليها الكاتب ويقدمها في النص المضمر.

كما لعب الكاتب على الوازع الديني للموحدين_ بحكم دولتهم الدينية_ في أحكامه بما يخالف الشرع، فقد رد زوجة لطليقها بعد ثلاث، دون محلل بقوله: " ومن نوازله القبيحة، الشاهدة عليه بالفضيحة، أنه رد امرأة تسكن منزل النورين، وقد طلقها زوجها ثلاثًا، فردها إلى زوجها ونقض عري الشرع أنكاثًا، وأخذ على ذلك عشرة دنانير أكلها سحتًا"([٤٥]). فالقاضي المنوط بالعدل، والحكم بالدين، والساعي إلى القيم، يخالف ضميره _أيضًا_ فيستكسب من خلال أحكامه، وهو أمر يخالف الأمور السياسية في الحكم الإسلامي على مدار تاريخه. وينهي الكاتب خصاله المشينة في شكوته بما

يستكثر ذكره؛ بقوله ضاربًا الذكر عن العديد منها: " وعند عبدكم من قبيح قضاياه، وذنوبه في الرعية وخطاياه، ما إن اذنتم في شرحه، أطلعت منبلج صبحه"([٤٦]). ولعل في استطراد الكاتب ما يُحمل النص خطابات ظاهرة، تمثلت في الشكوى، وسرد خصال القاضي في الرعية، وحكمه بالجور فيهم من ناحية، وغفلة الإدارة السياسية في الدولة الموحدية في مباشرة أحوال الرعية، وتنصيبهم ما دون القدر من ناحية أخيرة، فكيف لهم تولية من كان مواليًا للنصارى، ويقوم على خدمتهم؟! فضلًا عن جهل درايتهم بسياسته القائمة في الناس. كما أفصح النص الخطابي عن حرص الكاتب على مصلحة الدولة وولائه للساسة، وسعيه في حمل الشكوى إلى الأمير بما يتوافق مع شكوته المضمرة، لعله يجد ما يحبو إليه ويسعى.

اختتم الكاتب شكوته برجاء يُؤمن حياته، وحياة صاحبها من بطش القاضي، من خلال خطاب يُكتب من قبل الأمير؛ يميزه عن غيره، ويعطيه قيمته، وإن حمل النص أنانية مفرطة، فلم يطالب صراحة بعزله حتى يُصرف أذاه عن الناس، وإنما تكبد عناء السفر، وحمل الشكوى لتمييزه، وصاحبها عن الغير، فهي أيضًا وسيلة خفية للتكسب من قبل الكاتب. كما حمل النص الثنائيات الضدية التي تتمثل في مدح الكاتب في مقدمة شكوته للساسة الموحدين، وعلى رأسهم أميرهم بسعيهم لنصرة الحق، ورفض الجور والظلم ... وعلى الرغم من ذلك تعيينهم من يحكم بعكس سياستهم، بما يوحي بعدم درايتهم لأمور رعيتهم، فضلا عن اختياراتهم الإدارية الخاطئة. كما ظهر من خلال الشكوى حرص الكاتب على الناس، ومعاناتهم من قبل قاضيهم، وعلى الرغم من ذلك حمل رجاؤه صراحة مطلبًا ذاتيًا لصاحب الشكوى ظاهريًا، وله من خلال النسق المضمر بقوله: " فالرغبة الحميمة لسيدنا ومولانا الإمام الأعدل الملك الأعز الأفضل على العبد الراجي في أن يكتب له كتابًا يأمن به ممن يكيده ويصل ببركته إلى ما يرغبه من الدعة ويريده... وأنا _أدام الله تأييدكم_ قد جُبتها .. ولبست تأميلكم النجيح شعارًا فإن مننتم على عبدكم بإفراغ روعه وتمييزه عن نوعه وأصبحتموه كتابًا كريمًا، يطالعه به الأمل وسيمًا"([٤٧]). وربما جاء ذلك من قبل التأدب مع الحاكم، والفهم الضمني من تعديد خصال القاضي السيئة؛ بما يستوجب عزله. كما حمل النص

الثنائية الضدية بين أحكام القاضي وأفعاله في الرعية، وبين سياسة الأمير التي كنفتهم بالمحبة والكرامة.

حمل النص شكوى سياسية مضمرة تمثلت في عدم الاستجابة سريعا لشكوى الكاتب؛ الأمر الذي أفصح عنه قوله: " وعبدكم _ أدام الله تأييدكم_ قد طال بالحضرة السامية مقامه، وشرد بارتياعه كراه ومنامه، ورغب في الرجوع إلى بلده واجتماع شمله بأهله وولده، فالرغبة الحميمة لسيدنا ومولانا الإمام الأعدل "([٤٨]). فالأمر يوحي بانشغال الأمير بالفتن والصراعات عن سماع شكوى الرعية والكُتاب، فتجاهل الكاتب وشكوته، وكثرة انتظاره يوحي بالفشل السياسي في إدارة الأمور السياسية التي تهتم بأمور، وتغض الطرف عن أُخر. ونستشعر من جملة تعريفات الكاتب، ونعوته للقاضي خاصة ولائه للنصارى، ما يوحي بأن الحاكم لا يعرفه، فكيف يعين في إقليم يمثل أساس دعوتهم ودولتهم، من يتجاهل سيرته، ويتصف بهذه الصفات المعادية للإسلام، وتعاليمه فضلًا عن سياسة الدولة الموحدية، وشهرتها الدينية؟! فالقاضي (السياسي) نراه صورة من الحاكم نفسه؛ لأنه القائم على تنفيذ سياسته، والعامل بأوامره، والقائم بأمور دولته، ومن ثم حمل النص رؤية الكاتب المضمرة في الأمير المتمثلة في الفشل السياسي، وإدارة شؤون البلاد خاصة في الأقاليم البعيدة، على الرغم من كثرة مدحياته في الشكوى. وربما حملت التنبيه والنصيحة الأدبية من خلال الشكوى؛ بضرورة النظر في إدارته، وتعيين من يساعده على النهوض بدولته، كما توحي _أيضًا_ بغياب الرقابة الإدارية في إفريقيا.

كما حملت الشكوى الثانية على الرغم من اقتصارها على الشكوى الاجتماعية الثأرية شكوى سياسية مضمرة وراء النص المقدم، تمثلت في الرجاء والطلب بضرورة أمر رجالة_ الطلبة([٤٩]) _ بقوله : " فعسى أن يُنهى إلى الطلبة_ أكرمهم الله_ بموضع كذا أن ينفذوا من يتكفل بإحضاره، ويزعجه عن أهله وداره، حتى تُمكن محاكمته، وتتأتى مقاعدته ومخاصمته"([٥٠]). فالإدارة لا تحمي الرعية من أشرارهم، الأمر الذي يوضح أن السلطة لا تُباشر أعمالها في الأقاليم البعيدة؛ الأمر الذي دفع كاتبًا من المغرب يتكبد عناء السفر؛ لحمل شكوى، وتبصرة الأمير، وسلطته بما يحدث في

مجتمعه. ولعل في عودة القاتل بعد هربه، وتهديده بالقتل، ما يوحي بغياب الهيبة السياسية، فأنَّى له يقتل ويهرب، ثم يعود ويهدد علانية، فالأمر يحمل التقاعس بمباشرة المهام من قبل إداري الدولة الموحدية، وعدم قدرتهم على حماية رعيتهم، وكأن الكاتب يوضح مضمرًا بأنهم يدفعون ضريبة ابتعادهم عن الحضرة الإسلامية للدولة الموحدية في الأندلس، وتهميشهم على المستوى الاجتماعي والسياسي. ولعل في مطالبة الكاتب من الأمير، وحثه بضرورة إحضار القاتل، وعدم القصاص منه، ومحاكمته على جريمته الأولى ما يوحي بتراخي القائمين على الحكم في إفريقيا، وتقاعس الطلبة، ونلحظ فيها ضمنيًا إملاء الكاتب على الأمير بما يتوجب فعله!

كما تضمنت الشكوى الرابعة على الرغم من اجتماعيتها بعض الشكايات السياسية؛ إذ رفع الشكوى من قبل الكاتب إلى الأمير مباشرة، ورغبة الزوجة في ذلك، بما يدلل على وجود ما دون القدر من إداري الموحدين المنوطين بفض المنازعات، وتدبر أمور الرعية ومباشرتها. فلو وُجدوا؛ ما رُفعت الشكوى للأمير مباشرة بقوله: " والله لا يعدم الملهوفة المضطهدة من نظركم المؤيد بالسداد، ورأيكم الراحم لكافة العباد، ما يكشف بأساءها"([٥١]). ولعل في رفع الشكايات مباشرة إلى الحاكم دون الرجوع إلى مسؤوليها، على الرغم من إقليمية أصحابها، وبعدهم عن حاضرة الخلافة في الأندلس؛ ما يوحي بالتراخي السياسي. كما تحمل الشكايات جميعها المظهر السياسي الذي يتمثل في إخفاق الساسة في إفريقيا؛ بما يوحي بضرورة النظر في الهيكلة الإدارية، وتولي من يُصلح في مباشرة أمور الرعية، والعمل على تأمينهم وحل مشكلاتهم.

كما حملت الشكوى الأخيرة في طياتها شكوى سياسية تمثلت في الضرب بسياسة المناصفة المفروضة على العقارات، والمتاجر في إفريقيا والمغرب العربي، فكيف لتجار الدولة أن يكتبوا لتاجر غريب؟ ويجعلوه في زمرة تجارهم، على الرغم من التزامه بدفع الأموال المفروضة عليه بقوله: " فإن عبدكم جرى عليه بمدينة كذا اعتداء، وألزم قضاءٌ لما يلزمه في السبيل وأداء، وذلكم _أدام الله تأييدكم_ أنه يسكن بحارة الطرامنة فأدى ما عليه مع جيرانه، وجرى في طلق التناصف معهم وميدانه، فإن فلانًا وفلانًا وفلانًا من تجار سوق الشماط كتبوني في جملتهم وألحقوني بفئتهم..."([٥٢]).

كما حملت الشكايات بعض المفردات السياسية والإشارات من مثل الحروب مع النصارى، والانتصارات عليهم، ورفض الكاتب للأخر الديني والسياسي المتمثل في الشكوى الأولى، في وصف القاضي الذي يخدم مكوسهم، ويسعى لتحقيق مصالحهم. ومن جملة هذه المفردات: (المكوس/ القاضي/ يحكم في النوازل/ يقضي في الحوادث/ طال بالحضرة/ الطلبة/ الطرامنة/ السماط/ التناصف والمناصفة...).

فمن جملة ما سبق: قد حملت جميع الشكايات السياسية في طياتها المعاناة من قبل الرعية تجاه الساسة في المغرب وإفريقيا، الذين يتجاهلون أمور رعيتهم والنظر فيها، الأمر الذي يخالف سياسة الدولة الموحدية؛ مما دفعهم لرفع شكواهم للحاكم مباشرة. ويُعدُّ إهمالاً سياسيًا من قبل الولاة ظاهريًا، ومن قبل الحاكم نفسه من خلال النسق المضمر. وقد أبدع الكاتب في توظيف النسق حمايةً لنفسه من بطشه، وإشعاره بالتقصير السياسي، ومن ثم النظر في شكواه سريعًا. وربما تجاهل الكاتب لإداري إقليمه المعينين من قبل الحاكم؛ يوحي برغبته في إرسال استهجانه لهم، ورفض سياستهم التي لا تروق لسياسة الدولة الموحدية، فلو قدم شكوته إليهم، ولم ينظر فيها ستصبح فجيعة، وإن لم يقدمها لإغفالهم أعمالهم، ورؤيته فيهم بالعجز، وعدم القدرة سياسيًا؛ فتلك فجيعة كبرى، وإن كنا نرى فيها رفضًا مضمرًا خلف السياق النصي لسياسة الدولة الموحدية في الأندلس؛ لتعيينهم ساسة دون القدر والمسؤولية من ناحية، وتهميشهم سياسيًا بما يجنيه ذلك على المجتمع من فساد، وتفكك من ناحية أخيرة.

المطلب الثالث: الشكوى الاقتصادية والنفسية

تضمنت رسائل الشكوى عند ابن مبشر بعض الإشارات للمشكلات الاقتصادية التي واجهت بعض الرعية في المجتمع الموحدي، وما يتعلق بها من حقوق مادية مسلوبة، فضلًا عن بعض المشكلات الذاتية والنفسية لأصحابها، والتي تتعلق بالأمور الذاتية، والحقوق المعنوية، وذلك على النحو الآتي:

تمثلت **الشكوى الاقتصادية** في شكايات ابن مبشر في جور الأخوة على أخيهم، وسلبه حقوقه، وحرمانه من نصيبه الشرعي في ميراث والديه، على الرغم من المشاركة الفعالة منه لهم؛ الأمر الذي دفعه لرفع شكوته للحاكم مباشرة، مرفقة برغبته

في تحقيق العدل والمساواة في الاقتسام بقوله: " فإن أخوتي جاروا علي يوم اقتسامهم، وسلوني كما تسل الشعرة من العجين من أسهامهم، فلم يفرضوا لي منها فريضة بل غادروا حصتي منها منقوصة مغيضة، وقد سددت إخوتي نصالها...أشهد مشاهدهم، ويطوون عني فوائدهم، وعدلكم _أدام الله تأييدكم_ يحكم بالسواء"([٥٣]). يحمل الكاتب استعطاف الرجل للحاكم مباشرة؛ راجيًا عودة حقه، وسيادة العدل، وتحمل النسق الظاهر الذي يتمثل في احتجاجه على قسمتهم، وتهميشه في الحقوق، ومعرفته فقط في الواجبات، فهو يشاركهم، ويطوون عنه الفوائد والحقوق. من ثم جاءت الشكوى على الرغم من اجتماعيتها، إلا إنها تتضمن شكوى اقتصادية تعلقت بالمواريث والأموال.

كما تضمنت الشكوى الرابعة شكوى اقتصادية مضمرة خلف السياقات النصية، تمثلت في تبدد مال الزوجة، وإنفاقها على زوجها بجميع ما تملك؛ رغبة في الانفصال عنه، آملة في الخلاص منه مضطرة؛ الأمر الذي دفعها لارتضاء العدم بعد تملكها الأموال. فبعد الاستيلاء على أموالها؛ رفض حسن عشرتها، وتخليصها؛ مما دفعها لرفع الشكوى للحاكم بقوله: " فإن أمتكم رميت من زوجها فلان بداهية الدهر، ومنيت من حسن العشرة مجالها....وقد اضطرني بما سامني من الخسف، وركبني به من العنف والعسف، حتى اختلعت منه بكثر من مالي، ورضيت العدم ثمنا لرخاء بالي، فما أجابني إلى مطلوبي، ولا أسعفني في مرغوبي"([٥٤]). فالشكوى تحمل في طياتها الرغبة في الخلاص، ورجوع الأموال، بعد تبدل أحوالها المعيشية من سيدة تمتلك الكثير لامرأة معدومة فقيرة. كما تحولت الأموال من غاية إلى وسيلة، وحيلة لجأت إليها الزوجة لتحقيق مرامها في الخلاص من زوجها؛ الأمر الذي يدلل على جشع الزوج، وطمعه، فضلًا عن فقره، وتطلعه الدؤوب للاستيلاء على أموالها.

كما تحمل الشكوى الثانية شكوى اقتصادية تتمثل في جور الشريك على شريكه وقتله؛ فيبدو أن الخلاف كان ماديًا وتجاريًا؛ إذ قدم القاتل منعوتًا بالشريك بقوله: " إن أخي عدا عليه شريكه فشدخ في حال نومه بأزرية رأسه أذهبت حياته وأفاتت نفسه"([٥٥]). كما تضمنت الشكوى الأخيرة مظهرًا من مظاهر الشكاية الاقتصادية المرفوعة للحاكم مباشرة، تتمثل في جور تجار سوق السَّماط على رافع الشكوى

المتضرر منهم؛ إذ كلفوه بدفع أموال قدرها سبعمائة دينارًا، وهي ضعف الضريبة المفروضة على تجار السوق، دون وجه حق، على الرغم من تأديته ما يُطلب منه، ويُلزم به، فهو ليس بتاجر، ولا يحق لهم مطالبته بذلك، مما دفعه لرفع شكوته ومظلمته، راجيًا رفع الظلمة الاقتصادية عنه، وعودة حقوقه المادية المسلوبة بقوله: " فإن عبدكم جرى عليه بمدينة كذا اعتداء، وألزم قضاءٌ لما يلزمه وأداءٌ... فأدى ما عليه مع جيرانه، وجرى في طلق التناصف معهم وميدانه، فإن فلانًا وفلانًا وفلانًا من تجار سوق السماط كتبوني في جملتهم وألحقوني بفئتهم، وألزموني ثلاث مائة دينار وخمسين دينارًا، وعبدكم ... لم يصفق قط في سوق، ولا كان له مع أهل السماط اتصال ولا لصوق، وقد رفع عبدكم أمره إليكم، وعرضه مفسرًا عليكم، وأنتم... تبطلون الباطل وتتوخون بهدايتكم رده... فإن قمع الظلمة من أبر الأعمال وأزكاها"([٥٦]). فالكاتب يستنكر صنيع تجار سوق السماط، وسياستهم الاقتصادية، الأمر الذي دفعه إلى الاحتجاج كوسيلة لرفع شكوته، ورغبته في عودة حق شاكيها منهم، بعد أن جعلوه عنوة من جملة تجار السوق، وألزموه بدفع ضريبة مضاعفة غير مكلف بها.

فمن جملة ما سبق: تمثلت الشكوى الاقتصادية عند ابن مبشر في جور الأخوة على أخيهم، وحرمانه من حقوقه المشروعة في الإرث، وكذلك شكوى التجار، وسياستهم بالسلب لأموال الغرباء، وتضعيفهم الضرائب، وتبدد أموال الزوجة على زوجها، كوسيلة للخلاص منه.

أمَّا **الشكوى النفسية** عند ابن مبشر فقد تمثلت في الشكوى الأولى في طلب الكاتب من الأمير بخطاب يؤمنه من بطش القاضي عتيق بن مكسور؛ مما يعكس الخوف والرغبة في التأمين والحماية من قبله. فهي تحمل ثنائية ضدية بين خوف الكاتب، وصاحب شكوته، وبين أمان الحاكم بخطابه من ناحية، وبين ذعر الرجل وضعفه، وبين قوة القاضي وشدة نفوذه، فتكاد تتساوى قوة الحاكم وقوة القاضي، لكن يتفق معهم ضعف الكاتب وصاحب الشكوى. فالكاتب يسعى للقوة من خلال الرجاء المصحوب في نهاية شكوته، ومن ثم عبرت الشكوى عن جوانب نفسية مريرة لصاحبها، وحاملها بقوله: " فالرغبة الحميمة لسيدنا ومولانا ... في أن يُكتب له كتابًا يأمن به ممن

يكيده، ويصل ببركته إلى ما يرغبه من الدعة ويريده، وأنا_ أدام الله تأييدكم_ قد جبتها مهامة وقفارًا، ولبست تأميلكم النجيح شعارًا، فإن مننتم على عبدكم بإفراخ روعه، وتمييزه عن نوعه، وأصبحتموه كتابًا كريمًا، يطالعه به الأمل وسيمًا،... فأربحكم أجرًا"([٥٧]). وإن كنا نرى الثنائية المتضادة بين قوة الكاتب، وجراءته في حضرة الأمير، وبُعده عن مدينته الإفريقية، ومن ثم قاضيها، وبين ضعفه عند الرحيل، والعودة بطلب المأمن، والملاذ بقوله: " وعند عبدكم من قبيح قضاياه، وذنوبه في الرعية وخطاياه، ما إن أذنتم في شرحه، أطلعت منبلج صبحه"([٥٨]) وهو أمر متوقع حدوثه بعد رفع الشكوى، والذم فيه بكثرة النعوت المشينة على المستوى الاجتماعي والسياسي والديني. إلا أننا نجمل بقوة الكاتب وشجاعته في حمل الشكوى، وتكبده عناء السفر لرفعها، وتقديمها، ضاربًا عوارض بطش القاضي، مستمدًا ذلك من قوة الحاكم، ورفضه للظلم، وإرسال معه ما يؤمنه وصاحبه.

كما نرى المعاناة النفسية للرعية ناعتًا إياهم بالذعر والارتياع، والتحقير والمهانة جراء أحكام قاضيهم بقوله: " يضربهم بالسياط إيقاعًا، ويملأ قلوبهم ذعرًا مخيفًا وارتياعًا([٥٩]). وحملت الشكوى ذاتها شكوى اغتراب عن الوطن، وابتعاد عن الأهل بعد طول مقامه في الحضرة الأندلسية، دون النظر في شكوته من قبل الأمير بقوله: " وعبدكم_ أدام الله تأييدكم_ قد طال بالحضرة السامية مقامه، وشرد بارتياعه كراه ومنامه، ورغب في الرجوع إلى بلده، واجتماع بأهله وولده"([٦٠]). فيعرب الكاتب عن طول مقامه في حضرة الخلافة الموحدية في الأندلس؛ الأمر الذي أصابه بالضجر الخفي؛ لطول المقام دون البت في شكوته، مضمرًا من ناحية، وابتعاده عن الوطن والأهل؛ مما أرق نومه من ناحية أخيرة، فتوجب عليه الرجوع، ولم شمله بأهله. فنلحظ من خلال النسق المضمر تجاهل الأمير، وساسة الدولة الموحدية للكاتب وشكوته، وانشغالهم بالفتن، والأمور السياسية في الأندلس عن الكُتَّاب، وحاملي الشكايات. فالشكوى نفسية مريرة لكاتب تحمل مشقة السفر، يحمل هَمَّ رعيتهم، ويرجو النظر في مطلبه لتحقيق الولاء لدولتهم؛ ويعرض نفسه لبطش القاضي وفتكه، فيقابل ذلك تجاهلهم، وعدم النظر السريع في مطالبه.

كما حملت الشكوى الثانية جانبًا نفسيًا مؤلمًا؛ تمثل في فراق الرجل لأخيه بعد مقتله على يد شريكه، والحزن والحسرة على ما أصابه بقوله: " فإن عبدكم اللائذ بكم فجع بحميمه، وكرع من الأس والحزن في مقشوبه ومسمومه..."([٦١]).

تواصلت الشكايات النفسية مع ذعر صاحب الشكوى من قاتل أخيه، والخوف من الإلحاق به، بعد توعده له، ورغبته في النيل منه بقوله: " ثم رجع الآن وتواعدني بالإهلاك والقتل، وقال سأفعل به ما فعلت بأخيه من قبل، وها أنا _ أدام الله تأييدكم_ قد لذت بحماكم وتوسمت روح نعماكم"([٦٢]). فلنرى حجم المعاناة النفسية للرجل من ناحيتين؛ حيث قتل أخيه، وعدم محاكمة القاتل بعد فره هاربًا، بما يُحمل قلبه الذعر والخوف، وحرصه على نفسه ورغبته في المأمن والبقاء. فالشكوى عبرت عن مكنون النفس الحاملة للخوف، الراغبة في الحياة، والمستغيثة بالأمير؛ للإمساك بالقاتل ومحاكمته، ومن ثم تأمينه. كما أفصحت في الوقت ذاته عن ضعف الشخصية، وجبنها بما لا يتوافق مع شخصية العربي الإسلامي، وسيرته المعهودة في تاريخنا وحضارتنا؛ إذ تحول من صاحب حق يُفترض أن يطالب بثأر أخيه، ويسعى له، لمستغيث يخاف البطش به، وملاحقته لأخيه مقتولًا. وقد عبرت الشكوى عن السخط النفسي المضمر للكاتب، وصاحب الشكوى من تقاعس أولى الأمر في القصاص من القاتل، وهروبه ثم رجوعه، وتوعده يدلل على ذلك. فيوضح الكاتب ضمنيًا أن تغيب القاتل وهروبه، يقابله تغيب المأمن للرجل، ومن ثم بقاء خوفه وذعره؛ مما دفعه للحث بضرورة إمساكه والنيل منه.

كما حمل النص في مقدمته شكوى من الدهر الذي أصاب الرجل بويلات فقد أخيه، ويتبعه بالرغبة في ملاحقته له بقوله: " عبده المستجير بحماه، الشاكي إليه سهمًا قصده به الدهر وأصماه"([٦٣]). وكأن الدهر يقصده بمصائبه وويلاته دون غيره. وكذلك الأمر نفسه مع الزوجة التي رُميت بداهية الدهر بقوله: " رُميت من زوجها فلان داهية الدهر"([٦٤]).

حملت الشكوى الثالثة مظهرًا نفسيًا مريرًا تمثل في التهميش الأسري، ووقائعه على النفس، خاصة إذا ما كان من ذوي الرحم؛ فقد سُلب الرجل حقه في الميراث من

قبل إخوته، وجاروا عليه، ولا يعرفونه إلا في شدائدهم فقط بقوله: " فإن إخوتي جاروا علي يوم اقتسامهم، وسلوني كما تسل الشعرة من العجين من أسهامهم..."([٦٥]). كما حمل نص الشكوى جانبًا نفسيًا آخر، تمثل في خوفه من بطشهم، وأذيتهم بعد رفعه الشكوى للأمير؛ مما دفعه للمطالبة بتأمينه، وكف أذاهم عنه بقوله: " ويكف عني أيدي المؤذين عن الأذى"([٦٦]). وإن كنا نرى أن الأذى نفسيًا أقوى من الأذى على المستوى المادي؛ لكونه من قبل إخوته، مصدر نصرته وحماه، الذين يتحولون بأفعالهم لمصدر خوفه وذعره. ويستشعر صاحب الشكوى من الوحدة والتفرد، والنبذ الأسرى، فضلًا عن الحط من قدره، وتهميشه لفوائدهم، وجفاوتهم له تعامليًا بقوله: " وأنا _ أدام الله تأييدكم_ أشهد مشاهدهم، ويطوون عني فوائدهم..."([٦٧]). فمعرفتهم به فقط مقرونة بالمشاركات والواجبات، وتنكرهم له في ما دون ذلك خاصة الحقوق. الأمر الذي يقابله رغبته في مواصلة صلة الرحم، وعدم قطيعتها، خاصة بعد رفع الشكوى بقوله: " حتى تتساوى وتتناصف، وتتعالم بعد التناكر وتتعارف، وتتذاكر حقوق الرحم المتشابكة وتتواصف"([٦٨]). وتتضمن الشكوى الأخيرة شكوى نفسية، تمثلت في جور التجار على الرجل وإلزامه ما لا يلزم، فوقعت عليه الظلمة من قبلهم، وأصيبت نفسه بالحزن؛ مما دفعه لرفع شكايته. ولعل في قوله:" فإن قمع الظلمة من أبر الأعمال وأزكاها"([٦٩]) ما يوحي بمعاناته النفسية جراء ظلمهم.

كما حملت شكوى الزوجة من زوجها وجهًا من أوجه الشكوى النفسية؛ من الكره الذي يقابل المودة على المستوى التعاملي للحياة الزوجية؛ فقد أصابها العنف والعسف من تعاملات زوجها، فضلًا عن تضحيتها بأموالها، راغبة للخلاص منه، ولعل في قوله:" وعدلكم... يفكني من إساره، ويحل عنقي من ربقة اقتساره"([٧٠]) ما يوحي بحجم معاناتها على المستوى النفسي، فتحولت من سيدة كريمة عزيزة، لأَمَةٍ تقع ذليلة في الأسر، وترجي خلاصها، كما نعتها الكاتب بالملهوفة المضطهدة، الساعية لنجدة الحاكم، مستغيثة به.

فمن جملة ما سبق: تمثلت شكايات الكاتب النفسية له ولأصحابها في الكثير من المظاهر أبرزها شكوى الاغتراب، وطول المقام في حضرة الدولة، فضلًا عن التجاهل،

والشعور بالحط من القدر عند عدم النظر في الشكوى سريعًا، والرغبة في البقاء بمأمن، والذعر والخوف من البطش، والفتك في الشكوى الأولى والثانية، والظلم الواقع على النفس جراء التعاملات سواء الأسرية مع الزوجة في الشكوى الرابعة، أو من المجتمع وأفراده والقائمين عليه إداريًا في الشكوى الأخيرة.

المبحث الثاني: آليات التشكيل في رسائل الشكوى عند ابن مبشر

يسعى هذا المبحث للكشف عن الجوانب الفنية، والأسلوبية المختلفة التي اعتمد عليها ابن مبشر في تشكيل شكاياته، وبنائها وفق النص الخطابي المقدم؛ من بنية الشكل والمضمون، والبناء الفني بصوره المتعددة، إضافة للبناء الأسلوبي بمستوياته المختلفة. فعلى الرغم من أن الأندلسيين قد ساروا في أدبيات الرسائل على درب المشارقة تقليدًا في المضمون بموضوعاته المختلفة، والبناء بطرائقه المتعددة إلا " أن أحدًا لا يستطيع أن ينكر أن هناك جوانب ابتكار سبق الأندلسيون المشارقة إليها، ووسعوا في ميادين أدب الرسائل... كما أن هناك خصائص فنية ميزت رسائلهم عن رسائل المشارقة حيث استطاعوا أن يرتقوا بأساليب تعبيرهم، وأن يتفننوا بها بما أوتوه من موهبة فذة، وذوق جميل وأصيل، حتى ليبدو بعض رسائلهم وكأنها شعر منثور لا ينقصه غير الوزن والقافية ليكون شعرًا"(٧١).

ويلاحظ في بنية الرسائل الأندلسية بشكل عام انحصارها بين تقنيتي المصنوع والمُرصع، وُسمي بالمصنوع " لأنه نُمق بالتصنيع، ووشح بأنواع البديع، وحُلى بكثرة الفواصل والأسجاع، واستجلب له منها ما يلذ في القلوب ويحسن في الأسماع، فلم يُقدم منه مثل ما يقتضب، ولا فقرة تستغرب"(٧٢). ولُقب بالمرصع " لأنه رُصع بالأخبار والأمثال والأشعار، وروايات القرآن وأحاديث النبي عليه السلام، إلى غير ذلك من النحو والعروض، وحل أبيات القريض"(٧٣). ويمكن التوقف مع آليات التشكيل في رسائل الشكوى عند ابن مبشر على النحو الآتي:

المطلب الأول: بناء الشكل والمضمون

اعتمد ابن مبشر في تقديم شكاياته، وبنائها بين الشكل والمضمون على جملة من الفنيات، والآليات التشكيلية، تمثلت في حجم الرسالة بين طولها وقصرها، وبناء المقدمة، والعرض والتخلص، والخاتمة من ناحية الشكل، فضلًا عن العاطفة، والمعاني والأفكار من ناحية المضمون. ويمكن التوقف مع هذه الأليات التشكيلة شكلًا ومضمونًا على النحو الآتي:

(أ) البناء من حيث طول الرسالة وقصرها

تفاوتت رسائل ابن مبشر في الشكوى ما بين طولها وقصرها؛ ورجع ذلك لطبيعة الموضوع المقدم للحاكم، وتوضيحه، وشرحه، وتفسيره، وذكر أسبابه ونتائجه، ورغبته في استعطافه بالنظر في مطلبه. فقد راعي الكاتب عناء السفر وموضوعه، وكذلك الأمور السياسية، وأوقات الساسة.

أدت المقدمة وما تحويه من حمد وثناء، ومدح واستعطاف، ورجاء، ومطالب دورًا في شكل رسائل الشكوى عند ابن مبشر وحجمها، فالبنظر في شكاياته الخمس نجد أن الرسالة الأولى تميزت بالإطالة من حيث الشكل، وما تحويه من موضوعات، وكذلك الرسالة الأخيرة الخاصة برفع الظلمة المادية، أما الثانية والثالثة والرابعة فتميزن بالقصر المبالغ فيه، إلا إنه أبدع في صوغها، وتقديم رؤيته الشكائية ببراعة أدبية فائقة.

ففي الشكوى الأولى جاءت المقدمة بشكل مطول؛ لاحتوائها على الحمد والثناء، ثم عرض صفات القاضي؛ الأمر الذي سعى إليه لذمه عند الخليفة، والمقارنة بين أحوال الرعية في ظل حكم أمرائها الموحدين، وبين أحكام قاضيهم، واستدعاء قصص واقعية حدثت مع الرعية، ثم رغبته في العودة للموطن والأهل، كذلك في الرسالة الأخيرة التي جاءت متفاوتة نسبيًا عن نظيراتها الأولى، فقد جاء الحمد والثناء، والمدح في نصف، والشكوى ومظاهرها، والرجاء والاستعطاف في نصفها الآخر. أما بقية الرسائل فجاءت قصيرة للغاية، حاملة للفكرة والرؤية، بعيدة عن الإطالة، مراعية لكثرة شكايات الحاكم، والرغبة في الاستجابة السريعة. ومن ثم كانت كثرة الأوصاف والمقدمات، والمدح والرجاء، واستدعاء القصص عوامل ساعدت في حجم الرسالة، وشكلها إلا إنها في مجملها جاءت رصينة، سواء أكانت طويلة أم قصيرة.

وقد زاوجت الرسائل في شكلها الكلي، وبنائها ما بين التقليد في المضمون (شكايات اجتماعية، وسياسية وجدث في التراث والأندلس)، والتجديد؛ إذ ابتدأت بالمدح، واختتمت بالدعاء، والسلام والشكر. فهيكل رسالة الشكوى عند ابن مبشر تمثل في المقدمة المدحية، والثناء، والشكر، ثم عرض الموضوع، والخاتمة بالدعاء والسلام.

(ب) بناء المقدمة والعرض والتخلص والخاتمة

تميزت الرسائل الأندلسية بشكل عام عن الرسائل المشرقية من ناحية البناء؛ إذ لم يحفل الكتاب الأندلسيون احتفال المشارقة بمطالع الرسائل وخواتيمها، ولهذا اتخذت رسائلهم في بنائها شكلًا فنيًا جديدًا، يختلف في بعض جزئياته عما ألفناه في الرسائل المشرقية التي تبدأ في الغالب بالبسملة، والتحميد، والصلاة على الرسول الكريم، فصارت رسائلهم على اختلاف موضوعاتها، وأغراضها تخلو في الغالب من الاستفتاح المعروف، وتبدأ بالدعاء للمرسل إليه، أو بالمنظوم، أو بالدخول في الموضوع مباشرة، أو بتمهيد يتفاوت بين الإسهاب والتطويل، والإيجاز والاختصار، تبعًا لتنوع مقامات المرسل إليهم، واستخدام الألقاب التي تتناسب ومن يكتب إليه أميرًا، أو وزيرًا، أو صديقا([٧٤]). ويمكن التوقف مع بناء المقدمة والعرض والتخلص والخاتمة في رسائل الشكوى عند ابن مبشر على النحو الآتي:

(١) المقدمة: جاءت مقدمات رسائل شكوى ابن مبشر تجديدية من حيث الشكل، تقليدية من حيث المضمون؛ إذ ابتدأت مقدماته بمدح الخليفة مباشرة، والثناء عليه وآله، ثم السلام عليه، ثم حمد الله(عز وجل) والصلاة على نبيه_ صلى الله عليه وسلم_ ثم يعقب بالثناء على الخليفة مرة أخرى، والدعوة له قبل الشروع في الدخول في موضوعه مباشرة؛ فنجده في الشكوى الأولى يطيل المدح والثناء على حضرة الأمير، واصفًا إياه بمعان مدحية تقليدية، وإن كانت في مجملها مؤشرات أولية، وبدايات تتعلق بموضوع الشكاية؛ أي أن المقدمة مرتبطة بموضوعها، فجميع ألفاظها، ومعانيها تدور في فلك غرض الشكوى، والرجاء منها. فتمثلت في العدل وضرورته، ورجوع الحق لأصحابه، وأفضال الأمير في هذا الشأن، وهو أمر نلحظه في جميع الشكايات.

وتتضمن بحكم النازع الديني، والفطرة التاريخية للعرب قديمًا بالعداء مع الآخر، خاصة نصارى الغرب، وحروب الدولة الموحدية معهم، فجاءت بالتأييد، والدعوة بالنصر المبين، وتتابع الفتوحات والانتصارات، والإشادة بإذلالهم لهم. فالمقدمة المدحية تراثية تقليدية وُجدت من قبل عند جميع الكتاب في المشرق والمغرب، وخاصة إذا ما كانت الرسالة ديوانية خالصة.

كما حملت المقدمة الثناء على الذات الإلهية، والصلاة على النبي، ثم الدعوة للخليفة بالتأييد ودوام سعده وملكه([٧٥]). وكذلك في الشكوى الثانية إذ جاءت جملة مدحياته _ وإن كانت قصيرة عن نظيراتها_ في القصاص، والقسط، والقضاء على المتمردين، ونصرة المستنجدين، حتى في الحمد وجدنا ذكر نعمة وجود الدولة الموحدية التي ترفع الظلمة بقوله:" حضرة سيدنا الإمام الأعدل الملك الأعز الأفضل، أبو يعقوب أدامه الله حاقنًا للدماء بالقود والقصاص، حاكمًا بالقسط على ذوي التمرد والاعتياص... أما بعد حمد الله الذي رفع بالإمامة المهدية ظلمًا نازلًا وعدوانا، وجعل لولي المقتول المظلوم على قاتله وظالمه سلطانا..."([٧٦]).

كما جاءت المقدمة في الشكوى الثالثة مقتضبة للغاية، على الرغم من احتوائها المدح والثناء المرتبط أيضًا بموضوع شكايته، ورغبته في العدل وإبرامه، ورجوع الحق لأهله بقوله: " إلى حضرة الإمام الأجل أبي يعقوب مد الله لها في البسطة ضياءً ونورًا، وجعل حظي من عدلها جزيلًا موفورًا، من اللائذ بعدلها وقسطها... أما بعد حمد الله الذي جعل العدل ظلًا ممدودًا، وعذبًا نافعًا برودًا، والصلاة على محمد المصطفى صلاة أواليها تكريرا وترديدًا..."([٧٧]). وكذلك الصنيع في الرابعة والخامسة ناعتًا إياه بروح الانتصاف، والانتصار، والمستجير به برفع الظلمة بقوله: " وأهب علينا روح الانتصاف والانتصار من تلقائه، مملوكة إنعامه، الراغبة في اتصال أمره العزيز ودوامه..."([٧٨]).

فمقدمة الكاتب جاءت ممزوجة بتقليدية المضمون، وتجديدية الشكل والبناء، كما جاءت في مجملها مدحية، ومرتبطة معانيها بموضوع الشكاية، وممهدة لها، فضلًا عن تميزها بالإتقان والإبداع.

(٢) عرض الموضوع والتخلص: لن ننظر للموضوع وأفكاره التي تطرقنا إليها من قبل، ولكن الذي يعنينا كيفية العرض، وبناء التقديم، فنجد اعتماد ابن مبشر كثيرًا في عرض موضوعات شكاياته على التفسير، والتوضيح، وكثرة الأوصاف، خاصة في الشكوى الأولى؛ ومؤدى ذلك رغبته في توصيل الشكاية، وتفخيمها، وتهويل أمرها للأمير؛ للبت فيها سريعًا. وقد مزج الكاتب في عرضه للموضوع بين الإطالة والقصر، كما قدمنا من قبل، وخاصة في الرسالة الأولى، التي أكثر فيها من الأوصاف، وسرد المفاسد؛ مما يوغل صدر الحاكم ضد المشتكى فيه، ومن ثم عزله، والوصول لمبتغاه، وكذلك السرد نفسه في شكوى الزوجة من زوجها([٧٩]).

كما ارتكز ابن مبشر على عدم المباشرة في الدخول للموضوع الرئيس، فقد سبقه المقدمة المدحية، والثناء والشكر والدعاء، وإن ابتعد إلى حد ما عن الإطناب والإسهاب. وقد مالت بعض موضوعاته للإيجاز، خاصة في الشكوى الثالثة التي جاءت في سطور قليلة، وربما جاء ذلك بسبب خصوصيتها، لأنها تمس ذوي الرحم؛ آملًا بالنظر فيها.

وقد اعتمد الكاتب ببراعة فائقة على **التخلص** بابتداء الخطاب الفاصل بين المقدمة المدحية، والموضوع الرئيس بجملة (أما بعد)([٨٠])، فقد فصل بين المقدمة الاستفتاحية (المدحية)، وبين الموضوع بابتداء الخطاب بذكر ألفاظ تدل عليه بجملة (وبعد)([٨١]) في الشكوى الرابعة. وقد خلت رسائل الشكوى عند ابن مبشر من التخلص الذي يتمثل في الرد على المرسل إليه؛ إذ لا نجد رسالة واحدة فيها هذا التخلص؛ ومرد ذلك لرسميتها من ناحية، وجميعها تحمل الشكايات الشخصية لأصحابها المرفوعة للأمير مباشرة من ناحية أخرى، ثم لم يذكر الكاتب فيها، ولا في غيرها الردود عليها، ومدى الاستجابة لها من ناحية أخيرة.

كما أردف الكاتب في نهاية كل شكوى الغرض منها، محاولًا توظيف الاستعطاف للوصول لمبتغاه؛ فالشكوى الأولى تتضمن الرجاء بكتاب يحميه، وصاحبه من بطش القاضي، والثانية باستحضار القاتل ومحاكمته؛ ليأمن الرجل مكره، والثالثة والخامسة الرغبة في إقامة العدل، ورجعة الحقوق المادية لأصحابها، والرابعة في فك

إسار الزوجة من زوجها، وتخليصها منه. فزاوجت المطالب بين الرغبة والرجاء المباشر، دون التلميح والتضمين، إلا في الأولى التي أضمر فيها ضرورة عزل القاضي دون الجهر بذلك، والإفصاح؛ تأدبًا مع الساسة، وعدم التدخل في الأمور السياسية، وإن فهمناها من التقديم لأوصافه.

(٣) <u>الخاتمة</u>: جاءت خاتمة رسائل ابن مبشر في الشكوى متنوعة ما بين الدعاء للخليفة بالعديد من الصفات التقليدية، وما بين السلام عليه، وما دون ذلك فجاءت تقليدية من ناحية المضمون، المتمثل في الدعاء، ومعانيه التراثية، وتجديدية من ناحية البناء؛ إذ زاوجت بين السلام على المرسل إليه، وإرسالها دون سلام، ويمكن تقديم ذلك على النحو الآتي:

في الشكوى الأولى جاءت الخاتمة بالدعاء بالعدل، والاشتهار به كشهرة عمر، ثم قفلها بالسلام بقوله: " والله عز وجل يقيم بكم للعدل منارًا لا يغفو أثره، ويبقيكم تحيى بكم قضايا عمر الفاروق وسيره... والسلام"(٨٢)، وفي الثانية الدعاء ببقاء الأرواح بحكم إقامة العدل، دون سلام بقوله: " والله جل وعز يبقيكم لحقن دماء وإحياء نفوس، وإطلاع بدور من السيرة العادلة وإشراق شموس، بمنه"(٨٣)، وفي الثالثة الدعاء ببقاء الدولة الموحدية، وإدامة سعودها، ومواصلة الاشتهار بالعدل، كالعمرين بقوله: " ويديم أيامكم، ويجعل سعدكم المكين أمامكم، ويقرن بسيرة العمرين غشيانكم وإلمامكم، بمنه لا رب سواه، والسلام"(٨٤)، وفي الرابعة الدعاء بكثرة الفتوحات، ومواصلة الانتصارات، وإدامة السعود والسلام بقوله: " وهو جل وعز يعمر بالفتوحات النيرة صباح حضرتكم السامية ومساءها، ويحقق امتداد أيامكم السعيدة ونساءها، والسلام"(٨٥)، والخامسة الدعاء بطول العمر، ومواصلة النصر، وتقدم الشكر إليه دون سلام بقوله: " مد الله_ سيدنا ومولانا أمير المؤمنين_ في أيامكم، وعقد بالنصر والظفر منشور أعلامكم، وشكركم على نحفيكم برد المظالم واهتمامكم، بمنه لا رب غيره"(٨٦). فقد زاوجت الخاتمة بين الرسائل التي تحوي السلام على الخليفة (المرسل إليه) كما في الأولى والثالثة والرابعة، والتي خلت من السلام كما في الثالثة، والخامسة التي احتوت شكرًا، خلت منه جميع الشكايات مما يُعد تجديدًا.

وقد جاءت جملة المعاني الدعائية في الخاتمة مرتبطة ارتباطًا كبيرًا بموضوع الشكوى المتمثل في العدل وإقامته، ورد الحقوق، والرغبة في رفع البأس، والخلاص، والشكر على رد المظالم. كما حوت بعض الإشارات التاريخية المقرونة بالعدل من استحضار صورة العمرين، وتشبيه حكم الأمير بهما، ورغبته في مواصلة سيرتهم، كنوع من المبالغة المدحية، والرغبة في الحصول على مآربه. كما خلت الخاتمة من الحمد والثناء التقليدي؛ وربما يعزى ذلك لرسميتها، وإن أسهب بذلك في المقدمة. وتمثلت الخاتمة في صورتي الدعاء للحاكم (المرسل إليه)، والسلام عليه بكلمة واحدة. وقد خلت الخاتمة من الحكمة والمثل، والقرآن الكريم، وإن اعتمدت على التوظيف التاريخي المضمر في سيرتي عمر بن الخطاب، وعمر بن عبد العزيز_رضي الله عنهما_ وللتوظيف هدفه كما قدمنا.

أمَّا ما يخص **بناء المضمون**، وكيفية تقديمه؛ فقد تمثل في عنصري العاطفة، والمعاني والأفكار وذلك على النحو الآتي:

(ج) العاطفة: نعنى بها " القوة النفسية التي تثيرها مؤثرات وميول خارجية مختلفة، فتظهر في صورة انفعالات شتى كالحب، البغض، السرور، والحزن، الرجاء، الخوف، وهي بهذا من دواعي الشعر الذي تهيجه، وينابيعه التي ينبجس منها"(٨٧). فقد جاءت عاطفة الكاتب صادقة في عرضه للموضوعات المنوط بتقديمها، ورفعها للأمير، وحسب كل شكاية؛ فنجده يوظف الألفاظ الدالة على الحالة الشعورية تجاه الموضوع. ففي الشكوى الأولى نجد عاطفة الكاتب الصادقة تجاه الآخر الديني (النصارى) والكره لهم، ورفضه للتعامل معهم بالدعاء عليهم، وذم القاضي بالولاء لهم، وكأنهم مسبة مشينة بقوله: " فإنه كان قاضيًا في أيام النصارى_ دمرهم الله_ يخدم مكوسهم، ويفدي بنفسه الخائنة نفوسهم"(٨٨). كما أبدى صورة الحزن جراء صنيع القاضي مع الرعية، وضربهم بالسياط، وتعاطفه معهم، ورفضه لأحكامه خاصة التعاملية والشرعية(٨٩). وقد أبدى الكاتب زجره المضمر من طول بقائه في حضرة الخلافة الموحدية دون النظر في مجيئه، الأمر الذي يعقبه بالحنين، والتلهف لموطنه، وأهله جراء الغربة، وطول المقام في الأندلس بقوله: " وعبدكم _ أدام الله تأييدكم _ قد طال بالحضرة السامية مقامه،

وشرد بارتياعه كراه ومنامه، ورغب في الرجوع إلى بلده، واجتماع شمله بأهله وولده([٩٠]). كما أظهر الرغبة الحميمة للأخ المسلوب حقه في صلة الرحم، وتشابك العلاقات الأسرية، بعودة الحق، وإقامة العدل بقوله: "وتتذاكر حقوق الرحم المشتبكة وتتواصف"([٩١]).

كما أظهر النص غياب حزن الرجل في الشكوى الثانية على أخيه بعد مقتله؛ إذ لم يطالب بالقصاص إلا عندما وصل الأمر لزهق روحه، وهو ما يحمل الأنانية في المشاعر([٩٢]). وأظهر كره الزوجة لزوجها، وتعاملاته التي تتسم بالعنف، والتعسف في الشكوى الرابعة، وصنيع التجار في الشكوى الأخيرة. وإن كنا نلحظ تعاطف الكاتب مع الشكايات المقدمة، وإلا ما كان سيقوم برفعها، وحملها إلى الأمير مباشرة. فامتزجت عاطفة الكاتب، وأصحاب الشكايات بعواطف الحزن والضجر، والكره والحب، والخوف والذعر. وجاءت العاطفة محملة بالخوف والذعر، والحرص على بقاء النفس في الشكوى الأولى والثانية، والخوف من أذية الأخوة في الثالثة.

تمثلت عاطفة الكاتب غير الصادقة في الشيء ونقيضه في الشكوى الأولى؛ إذ قدم الحاكم متصفًا بالعدل، وسرعة استجابته لنصرة المظلوم، وعلى النقيض يشكو من طول بقائه دون النظر في شكوته والبت فيها. وكذلك حكمه بالعدل، والسيطرة السياسية، وعلى الجانب الآخر نجد انتشار الفوضى، والإهمال السياسي في بقية الشكايات. ومن ثم امتزجت العاطفة بالصدق في جملة القضايا المقدمة، وبغيره إذا ما اتصل بمدحيات الحاكم ودولته، أو بشكل أحرى خلت المقدمة والخاتمة من صدق العاطفة، وتزينت بها الموضوعات المطروحة. وقد انحصرت صورة العاطفة الصادقة في مظاهر(الحب/ الكره/ التمني/ الخوف/ الذعر/ الضعف/ التعاطف/ الحزن/ البحث عن السعادة/ التحرر/ القصاص).

(د) <u>المعاني والأفكار</u>: لن نتطرق للموضوعات، وما تحمله من قضايا، وإنما نحللها وفق ما تحمله من رؤى، فقد جاءت الأفكار في جملة الشكايات واقعية، تقدم رؤية وفق تراثية الموضوعات؛ فجميعها أمور تحدث في مختلف المجتمعات على المستوى السياسي والاقتصادي والاجتماعي. وفيها ابتعد الكاتب عن الخيال غير المحمود وجوده

في الشكوى؛ لجدية الموضوع من ناحية، ورسمية الرسائل المقدمة من ناحية أخرى، ولرغبة الكاتب في سرعة الاستجابة من ناحية أخيرة. كما اتسمت الموضوعات بالجدية على جميع المستويات.

اتسمت موضوعات الكاتب بالعديد من السمات منها: خلوها من الغموض والتعقيد والتكلف، كما ناقش من خلالها قضايا مجتمعية وسياسية، وتميزت بالمباشرة والواقعية، والتكرار في بعضها، خاصة قمع الظلم، والرغبة في سيادة العدل، وإن كنا نرى في بعضها تجديدًا، خاصة في رغبة الزوجة بالخلاص من زوجها، وافتداء ذلك بجميع أموالها، فهي صورة حضرية، وفق معطيات البيئة المغربية والأندلسية، فضلًا عن صورة التجديد في عدم المطالبة بالثأر، أو القصاص لمقتل الأخ، فهي حمية لا توجد في الفكر العربي في المشرق بتراثيته، إضافة لرفع الشكوى الأسرية بين الأخوة للحاكم. وجاءت الموضوعات جميعها ذاتية، عدا الشكوى الأولى، فعلى الرغم من ذاتيتها في البداية، إلا إنه عدل بها لقضية مجتمعية طُرحت، عانت منها الرعية، وأفراد المجتمع برمته.

أظهرت المعاني والأفكار شخصية الكاتب المضمرة؛ من حبه للخير، وسعيه للمشاركة المجتمعية، ورغبته في إقامة العدل، والولاء لدولته وساستهم، وإن كنا نرى فيه الضعف في الشكوى الأولى؛ لخوفه من بطش القاضي.

ومن صور معاني الكاتب في الشكايات الخمس؛ الرغبة في البقاء، وحب النفس، والحرية، والسعادة، وكره القاضي، ومواليه، والرغبة في التميز من قبل الحاكم، وضعف المرأة وأصحاب الشكايات، وقمع الظلم، ورد المظالم لأصحابها، والرغبة في إفشاء السلام والعدل.

المطلب الثاني: البناء الفني

ويمكن التوقف مع البناء الفني داخل رسائل الشكوى عند ابن مبشر من خلال تشكلاته البيانية من تشبيه، واستعارة، وكناية، والبديعة من جناس، وسجع، وطباق ومقابلة، على النحو الآتي:

(أ) **التشبيه:** يُعرف بأنه: " الوصف بأن أحد الموصفين ينوب مناب الآخر، بأداة التشبيه"([٩٣]). ويعرفه السكاكي بأنه " مستدع طرفين مشبهًا ومشبهًا به، واشتراكًا بينهما من وجه وافتراقًا من آخر"([٩٤])، ويعرفه ابن الأثير بقوله: " التشبيه هو أن يثبت للمشبه حكمًا من أحكام المشبه به"([٩٥]). اعتمد الكاتب في شكوته على التشبيه كوسيلة تعبيرية عن رؤيته، ونقل انفعالاته، ومشاعره تجاه الموضوعات، وأصحابها. كما أدى التشبيه دورًا كبيرًا في التأثير والإقناع. وقد جاءت الصور التشبيهية في الغالب تراثية تقليدية؛ إذ تمثلت في قوله: "وسلوني كما تسل الشعرة من العجين من أسهامهم"([٩٦]). فقد نقل الكاتب في مقدمة شكوته معاناة صاحبها الأليمة من قبل أخوته من خلال التشبيه المؤكد؛ بما يوحي بدلالة التهميش والتجاهل من ناحية، ودلالة الضعف والتملك من ناحية أخيرة. فقد خرج الرجل من ميراث والديه نظيف اليدين، ولنرى حجم الضعف في المفردة (شعرة)، وما تحمله من دلالة الهوان، والضعف والسهولة. فالتشبيه نقل معاناة الرجل في بداية الشكوى، فجاء موفقًا، ناقلًا للفكرة، معبرًا عن الرؤية، فلو لم يُكمل بقية وصفه؛ لبلغ مراده. وكذلك في قوله معبرًا عن حزن صاحب الشكوى من خلال التشبيه: " وكرع من الأسى والحزن في مقشوبه ومسمومه"([٩٧])، فقد شبه الأسى والحزن بالسموم التي لفظها خارج فمه، لعدم اصطباره على حملها وتحملها، فهي الدافع لرفع الشكوى. وقوله في رسم معاناة الزوجة من خلال التشبيه بقوله: " وصير أخوف من سمة الضرغام"([٩٨]). فقد اختار الكاتب من جملة حصيلته اللغوية، وأسند تعبيره الناقل لحزنها وضجرها، وسوء المعاملة، وعشرته للضرغام، وما تحمله الكلمة من دلالة التوحش، وعدم الاستئناس، والسطو المستمر، والرغبة في التملك، وعدم القدرة ع التعايش معه، وكلها دلالات تستوجب الانفصال والخلاص، فقد خدم التشبيه فكرة الشكوى، والمراد منها.

وكذلك في الشكوى الخامسة من خلال الثناء والإطراء المبالغ فيه، بقوله مشبهًا عدل الخليفة، وشموله لجميع بلدانه بالشمس، وما يحمله التشبيه من دلالات النور، وزوال الظلمة والإشراق والشمول، والسيطرة والقوة، ورمزيتها المقدسة في الفكر العربي بقوله: " وأنتم... بعدلكم الذي سار مسير الشمس في كل بلدة... تبطلون الباطل وتتوخون بهدايتكم رده"(٩٩). وإن كنا نرى فيها حيلة كتابية للوصول لمرامه؛ إذ كيف يظلم وعدله موجود؟! وكيف لا يحصل على حقه وعدل خليفته ساد الأرجاء والبلدان؟! فلنرى لفظة (هدايتكم) المناسبة للتشبيه، ووجه الشبه.

وبالنظر في جملة التشبيهات المقدمة، والتي استند عليها الكاتب في شكواه، نجدها موفقة، وبعيدة عن المقدمات، والخاتمة التي خلت منه نهائيًا، وجاءت جميعها في خدمة الرؤية المقدمة، وناقلة لتعبيرات الشكوى، وانفعالات أصحابها.

(ب) الاستعارة: هي " تسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه "(١٠٠)، وهي أن " تريد تشبيه الشيء بالشيء، وتظهره وتجيء إلى اسم المشبه به فتعيره المشبه وتجريه عليه"(١٠١).

أسند الكاتب ملكته التعبيرية كثيرًا للاستعانة بالاستعارة بأنواعها المتعددة؛ لنقل شكوته وحالاته التعبيرية، وفق كل موضوع مقدم إلى الخليفة الموحدي؛ ففي الشكوى الأولى يستهلها بالاستعارة بقوله: " فإن عبدكم لقي عبوسًا من وجه الجور ووجومًا"(١٠٢). فيزداد المعنى جمالًا بجعل الجور آدميًا له وجه يعبس؛ الأمر الذي من خلاله دفع الرجل لرفع شكوته، فقد افتتح شكوته بالاستعارة التجسيمية، ووُفِق في نقل المعاناة. كما اعتمد على الإطراء من خلال الاستعارة نفسها بقوله: " وعدلكم ... يحكم بالسواء"(١٠٣). كما عبر بالاستعارة التشخيصية عن شدة فساد القاضي بضجيج الأرض، وعججها، جراء قبح صنيعه فوقها بقوله: " وضجت الأرض وعجت لقبح ما يأتيه"(١٠٤). وهي أيضًا موفقة؛ إذ تخدمه في نقل أوصافه، وسماته التي ينأ منها البشر، وترفضها الأرض، وكأنها آدمي له قوته التي يكمنها في الصراخ، والاعتراض على جملة أفعاله. كما استعان بالاستعارة التجسيمية في نقل فكرته الدينية الرافضة لأفعاله مع أعداء الدولة الموحدية بقوله: " كان قاضيًا في أيام النصارى... يخدم

مكوسهم"([١٠٥])، فكأن المكوس والضرائب سيدًا يقوم القاضي بخدمته، وطوع بنانه، مما يوحي بإيغال صدر الحاكم منه. وكذلك قوله من خلال الاستعارة التجسيدية: " يملأ قلوبهم ذعرًا مخيفًا"([١٠٦])، وكأن قلوب الرعية إناءً، يقوم القاضي بتعبئته من الخوف، والظلمة والارتياع. وتتوالى الاستعارات في وصف القاضي وصنائعه التي تخالف الشريعة، وسياسة الدولة الموحدية؛ الأمر الذي يجعلنا نحكم بتوفيق الكاتب في الاعتماد عليها في نقل رؤيته، من مثل قوله:(يحكم في النوازل بلا رأي القائل/ يقضي في الحوادث/ يسلك في سبل المظالم/ تكنفتهم رأفته ومحبته...).

وفي الشكوى الثانية قوله من خلال الاستعارة التجسيمية: " قد لذت بحماكم"([١٠٧])، كأن حماه مجيرًا ومأمنًا من راغبي قتله، وهي أيضا تحمل الإطراء والمبالغة. وقوله من خلال الاستعارة التشخيصية: " وفر القاتل عند ذلك بين سمع الأرض وبصرها"([١٠٨])، فالأرض عنده لها أذان تسمع، وأعين تبصر، دلالة على عظم مصيبته، وهروب القاتل. وكذلك قوله في الثالثة معلنًا حرص صاحب الشكوى على مشاركة إخوته في جميع أمورهم بقوله: " أشهد مشاهدهم"([١٠٩])، وكأن أمورهم الحياتية حلوها، ومرها شيئًا يُشاهد ويُرى، وجاءت في خدمة شكوته، إذ منه الرغبة في المشاركة، وتواصل الرحم، ومنهم المجافاة والعداوة. كما جعل من عدل الأمير كاسرًا لأطرافهم التي تبخل عليه بحقوقه بقوله من خلال الاستعارة التجسيدية: " يفل بعدلكم المبسوط شَباهم"([١١٠]). وفي الشكوى الرابعة جملة من الاستعارات التي تحمل معاناة الزوجة، والتي سخرها الكاتب ببراعة في نقل الرؤية المقدمة بقوله:(رضيت العدم ثمنًا لرخاء بالي/ يفكني من إساره/ يحل عنقي من ربقة إساره..)([١١١])، فالعدم والبال، والإسار، والاقتسار آدميون يسيطرون على المرأة جراء صنيع زوجها. وكذلك قوله من خلال الاستعارة التجسيمية، وما بها من مبالغة نصية، وكأن العدل رجلًا يسير في جميع البلدان، ويسيطر عليها في الشكوى الخامسة:" بعدلكم الذي سار"([١١٢]). وكذلك نظر الأمير، وأحكامه الصائبة دائمًا، التي تحمي الخائفين بقوله: " ونظركم الموفق الذي هو عتاد لمن خيف عليه وعدة"([١١٣]).

فمن جملة الاستعارات نجد توفيق الكاتب في توظيفها فنيًا داخل شكوته، وجاءت حاملة لرؤيته سواء لتوضيح فكرة، أو تدعيم رؤية، أو وسيلة وغاية بدعم موقفه، وتسهل عليه مراده.

(ج) <u>الكناية:</u> هي " أن تتكلم بشيء وتريد غيره"(١١٤). وعرفها ابن الأثير بقوله: " كل لفظة دلت على معنى يجوز حمله على جانبي الحقيقة والمجاز بوصف جامع بين الحقيقة والمجاز"(١١٥). وقد استعان الكاتب بالكناية كوسيلة فنية للتعبير عن مواطن عدة على النحو الآتي:

في ذمه للقاضي وصفاته خاصة اسمه البعيد عن الكرم، والمؤيد لوالده المسكور مخالفا اسم شهرتهم (مكسور الجنب) من خلال الإقلاب في قوله: " وأن عتيقًا بن مسكور الجنب الذي كسره اسمه وصدق اسم أبيه"(١١٦). فهي كناية عن ابتعاد اسمه، وصفته عن الكرم والنجابة، والتصديق على غياب عقل أبيه، وليس كسره، وهو شهرة بيتهم في التراجم والمصادر الأندلسية. ويواصل الذم من خلال الصور الكنائية بقوله مكنيًا عن جهله دينيًا، وعدم دراسته للأمور، وعظم ذلك لمكانته التي تسمح بحكمه بين الناس بقوله: " يحكم في النوازل بلا رأي القائل، ويقضي في الحوادث، بالنظر العابث"(١١٧). كما عبر عن كثرة خطاياه، وعظمها في الرعية من خلال البناء بالكناية، وصورها بقوله: " وعند عبدكم من قبيح قضاياه، وذنوبه في الرعية وخطاياه، ما إن اذنتم في شرحه، أطلعت منبلج صبحه"(١١٨). فهي كناية عن كثرتها، فقد تأخذ ليلة كاملة في سردها، مما يوحي بضرورة عذله، والنظر في شكوته.

كما اعتمد على البناء الفني لرسالة الشكوى من خلال الصورة الكنائية في نقل معاناة الرجل في فقد أخيه، معبرًا عن هروب القاتل، واختفائه والفشل السياسي، والإداري في الإمساك به بقوله: " وفر القاتل عند ذلك بين سمع الأرض وبصرها"(١١٩). وقوله مكنيًا برغبة صاحب الشكوى بالإمساك به، ومحاكمته بقوله: " يزعجه عن أهله وداره"(١٢٠)؛ وذك من خلال المحاكمة والحبس، فالابتعاد عن الأهل والديار لا يكون إلا بذلك. وكذلك قوله: (كما تسل الشعرة من العجين) كناية عن سهولة الانتزاع والضعف، والتهميش والسطو، والتفرد والاعتداء. كما كنى عن كثرة خيرات

إخوته التي حُرم منها بقوله: " ويطوون عني فوائدهم"([١٢١]). فالكناية توحي بكثرة الفوائد، وإبعاده عنها، وعدم الحصول منها على شيء، مما يوحي بالظلم الذي دفعه لرفع الشكوى، وكذلك الأمر نفسه في قوله: " من أسهامهم"([١٢٢])، فهي توحي جميعها بالكثرة التي لم ينل منها شيئا، فهي دائمًا لا تصيبه. وفي الشكوى الرابعة معبرًا عن شدة مصيبة الزوجة بقوله مكنيًا: " رُميت من زوجها بداهية الدهر"([١٢٣]). وكذلك وصفه الزوج بالضرغام، بما يوحي بالوحشية، وعدم الرغبة في العيش معه، وقوله: " يفكني من إساره... يحل عنقي" ([١٢٤]) ما يوحي بعبوديتها، ومعاناتها.

ومن جملة ما سبق فقد أبدع الكاتب في توظيف الصور الكنائية في شكاياته، وجاءت جميعها في نقل رؤيته التوضيحية، والتفسيرية لها، ووسيلة في الوصول للمبتغى منها.

وقد اعتمد ابن مبشر في بناء رسائل الشكوى على العديد من المحسنات البديعية، وقد جاء السجع، والجناس، والطباق والمقابلة أبرز هذه الأدوات الفنية، ويمكن التوقف معها على النحو الآتي:

(د) السجع: وهو" تواطؤ الفاصلتين من النثر على حرف واحد"([١٢٥])، وهو" موالاة الكلام على حد واحد"([١٢٦]). ونتوقف مع السجع في شكوى الكاتب من خلال أسجاع المقدمة والعرض والخاتمة؛ لأن جميع الشكايات قامت على السجع كبناء فني، وشكل أساسي، فقد نوع في عباراته، مبتعدًا به عن التكلف في الاستدعاء اللفظي. إذ أسرف ابن مبشر في استخدام الأسجاع في بناء شكاياته في جميع أجزائها، فنجده في **مقدمة** رسائله يرتكز على السجع، والتنويع في فواصله، وابتعاده عن التكلف، اللهم إلا في مواطن بعينها، فضلًا عن عدم سيره على حرف واحد داخل الشكوى الواحدة من مثل قوله: " الإمام الأعدل، والملك الأعز الأفضل... على القسط والعدل قواعدها...على ... رواعدها.. ساعدها... خالدها) وقوله (سلام على الحضرة الإمامية ... والنصرة الحمامية)، فنجد حرص الكاتب على استخدام السجع، والتنويع في أحرفه، والاعتماد على الفواصل من خلال الجمل القصيرة، اللهم إلا في أسجاع بعينها الموجودة في هذه المقدمة، فدونها جاء قصيرًا إلا إنها موفقة، وجاءت لخدمة رؤيته النصية المتماشية،

والمتناسبة مع المقدمة المدحية. كما اعتمد في الشكوى الثانية على نفس الأسجاع بحروفها، منوعًا فيما تلاها بقوله: " بالقود والقصاص، حاكمًا بالقسط على ذوي التمرد والاعتياص.."(١٢٧). فنجد مناسبة الأسجاع للموضوع المقدم بالشكوى.

وفي الشكوى الثالثة ينوع الكاتب من خلال التعبيرات القصيرة، والفواصل المتعددة في أجناسه بقوله: " ضياءً ونورا... جزيلًا موفورًا... وقسطها...وبسطها"(١٢٨) وهي أجناس تتناسب مع رغبته في فيض عطايا الملك، واستعطافه بعودة حق الرجل من إخوته. وفي الرابعة قوله: " ببقائه.. تلقائه...إنعامه ... دوامه"(١٢٩). وفي الخامسة قوله: " عدلها وظلها...نصلها... الآمن... ضامن"(١٣٠). فنجد جميعها تدور في فلك موضوعاته، وجاءت استهلالية لها، فضلًا عن قصرها، وبعدها عن الإطالة.

واعتمد عليه كثيرًا في مقدمة الحمد والثناء في جميع شكاياته منها قوله: " مدبر الأمور ... منابر من نور... يوم العرض والنشور"(١٣١). وقوله: " المقام المحمود... الحوض المورود... يوم العرض والنشور... الخاسي والدحور... لوائه المنصور... على النحور"(١٣٢). فنجد هذه المقدمة تحمل السجع المطول، الذي يسير على حرف واحد، متعدد الفقرات الذي يصل لخمسة سطور، إلا إنها تبتعد عن التكلف. وكذلك قوله في بقية شكاياته(١٣٣).

فمن جملة ما سبق في المقدمة والحمد؛ نجد الكاتب يعتمد على الأسجاع القصيرة ذات الفواصل القصيرة، والمتنوعة في مقدمته المدحية، على النقيض نجد عدم التنويع والاعتماد على الأسجاع المطولة في مقدمة الحمد، والثناء. كما أنها جاءت أسجاعًا تقليدية تراثية، وابتعد فيها عن الخيال وصوره، ومن ثم الابتعاد عن التكلف والغرابة.

كما اعتمد عليه في **خاتمة** رسائله؛ إذ نجد في الشكاية الأولى يلجأ إلى عدم التنويع، والاعتماد على الفواصل الكبيرة، الحاملة لنفس السجعة في قوله: " والله جل وعز يقيم بكم للعدل منارًا لا يغفو أثره، ويبقيكم تحيى بكم قضايا عمر الفاروق وسيره، ولا زال للحق ما يأتيه نظركم الموفق وما يذره، بمنه لا رب غيره"(١٣٤). كما اعتمد على السجعة المقتضبة للغاية في الشكوى الثانية؛ حيث تتكون من جملتين فقط في قوله:

"يبقيكم لحقن دماءٍ وإحياء نفوس، وإطلاع بدور من السيرة العادلة وإشراق شموس"([١٣٥]). وجميعها جاءت لخدمة الإطراء من خلال الدعاء للمرسل إليه (الأمير)، وكذلك قوله: " ويديم أيامكم، ويجعل سعدكم المكين أمامكم، ويقرن بسيرة العمرين غشيانكم وإلمامكم"([١٣٦]). ونجده يعمد إلى التنويع في الخاتمة في الشكاية الرابعة ما بين حرفي الدال والهاء، موفقًا في مجملها، ومخفقًا في السجعة الأخيرة، التي جاءت متكلفة بعيدة عن المعنى المقدم في قوله: " والله لا يعدم الملهوفة المضطهدة من نظركم المؤيد بالسداد، ورأيكم الراحم لكافة العباد، ما يكشف بأساءها، وهو جل وعز يعمر بالفتوحات النيرة صباح حضرتكم السامية ومساءها، ويحقق امتداد أيامكم السعيدة ونساءها"([١٣٧]). فالسجعة الأخيرة في المفردة(نساءها) غير موفقة، وبها تكلف وصنعة.

أما ما يخص أسجاع **العرض** فهي كثيرة؛ إذ اعتمد عليها الكاتب في بناء عباراته وصوره المقدمة، وجاءت في مجملها معبرة عن موضوع الشكوى، ناقلة للعواطف والانفعالات، متنوعة بكثرة بين جمله، موفقًا في جميعها، فجميع الشكايات تقوم على السجع كبناء فني أساسي؛ إذ لا تخلو عبارة من سجعة، مما أعطى للرسائل موسيقى فنية رائعة، من مثل قوله:" فأن عبدكم لقي عبوسًا من وجه الجور ووجوما، وأتاكم بعيد الدار مظلومًا، ورجا من الحضرة الإمامية أن ترسل على مزيد الضلالة رجومًا، وأن عتيق بن مسكور الجنب الذي كسره أكذب اسمه وصدق اسم أبيه، وضجت الأرض وعجت لقبح ما يأتيه، فإنه كان قاضيًا في أيام النصارى... يخدم مكوسهم، ويفدي بنفسه الخائنة نفوسهم، فقد اتخذ أعوانا ووزعة، وأبرز شنعة وبدعة، وقد بعد عن معرفة التوحيد وعلمه، ولم يجر على حدة المطرد ورسمه..."([١٣٨]).

فمن جملة ما سبق تميزت أسجاع ابن مبشر في رسائل الشكوى بالتنويع بين الفواصل، والبعد بها عن التكلف والصنعة في الاستدعاء، كما أنه لم يجر على حرف واحد، وجاءت متناسبة مع عاطفته، إذا ما تجاهلنا المقدمة الافتتاحية المدحية، كما تميزت بقصر الفقرات والعبارات، فضلًا عن تقليديتها، وسهولتها، وتكرارها، وتناسبها لموضوع الشكاية.

(هـ) <u>الجناس:</u> وهو" أن يورد المتكلم كلمتين تجانس كل واحدة منهما صاحبتها في تأليف الحروف"([١٣٩]). ويأتي عند ابن مبشر في شكاياته في مرتبة أقل من السجع؛ ويرد ذلك لحرص الكاتب على الابتعاد عن التكلف والصنعة، وتحقيق الموسيقى المرادة في الفن النثري، من خلال السجع الموفق. ويمكن التوقف مع الأجناس في شكايات الكاتب على النحو الآتي:

انحصر الجناس في شكايات ابن مبشر في الألفاظ الآتية: (شكر/ الشاكر_ خالق/ الخلائق_ شنعة/ بدعة_ الكرامة/ الكريمة). (فأجرًا/ تجرا) (المؤذين/ الأذى) (تتناصف/ تتواصف) (أيامكم/ أمامكم) (الانتصاف/ الانتصار) إصراره/ أضراره) رميت/ منيت) إبايته/ إذايته) الخسف/ العسف) الظلمة/ المظالم) إساره/ اقتساره) سلوني/ تسل)([١٤٠]).

فجميع الشكايات حملت الجناس الناقص، غير المتكلف، واتسم بالسهولة والبساطة، وقليل للغاية إذا ما قورن بالسجع؛ إذ نجد شكايات كاملة لا توجد فيها أي صورة تحمل الجناس، كما أنه لم يعتمد عليه كثيرًا؛ لارتكازه على الطبع، ونظرًا لرسمية الشكوى، وأهمية القضايا التي تحملها، والرغبة في المباشرة القولية من خلال البنية المقدمة؛ الأمر الذي جعله يبتعد عن الزخرفة القولية، والشكلية.

(و) <u>الطباق والمقابلة</u>: جاء **<u>الطباق</u>** في جميع الشكايات طباق إيجاب؛ لما يحمله من السهولة والوضوح، وعدم الإبهام والبعد عن الصنعة، ولما فيها من فنيات التنميق والتنويع، وجميعها جاءت لخدمة الفكرة المقدمة، حاملة للرؤية، بعيدة عن التكلف، واستدعاء ما لا يلزم، كما أنها جاءت في سياق الخطاب المقدم دون رغبة فيه؛ إذ جميعها من غير قصد، إذا ما استثنينا الإطراء والمدح، كما إننا نجد بعض المفردات التي تحمل الطباق متباعدة من الناحية التوظيفية داخل نص الشكوى. ويمكن حصرها في الآتي: (أتاكم/ الرجوع _ رفع/ نازلًا _ المقتول/ قاتله_ المظلوم/ ظالمه_ إسرارًا/ إعلانًا_ وفر/ رجع_ بدوها/ حضرها_ التناكر/ التعارف_ يفل/ شياهم_ مظلمة/ العدل_ صباح/ مساءها_ يفك/ إسار_ يحل/ ربقة_ العدم/ رخاء_ المشارق/ المغارب (التي تدل على سيطرة الخليفة على الأرض).

أمَّا **المقابلة** فقد قابل بين حال الرعية مع القاضي الظالم، وخوفهم، وإذلالهم، وبحالهم مع الأمير الذي أغدق عليهم بالكرامة والمهابة([١٤١])، كذلك الحال بين صنيع الأخ في الشكوى الثالثة، ومشاركته لأخوته، وصنيع إخوته بنكران جميله وحقوقه، وسعيه للرحم، وقطيعتهم له([١٤٢])، كذلك حسن عشرة الزوجة، وسعيها لمرضاته بجميع ما تملك، وصنيع الزوج الذي اتسم بالعسف والجحود، وصنيع الحاكم بنجدتها وخلاصها، وإن كنا نلمح فيها الإطراء الخفي للحاكم([١٤٣])، كما قابل بين التجار وصنيعهم من الجور والظلم، وصنيع الخليفة وصاحب الشكوى في الرسالة الخامسة([١٤٤]).

المطلب الثالث: البناء الأسلوبي

اعتمد ابن مبشر في تشكيله لرسائل الشكوى على جملة من الأساليب المختلفة، التي تمثلت في توظيف الجمل الدعائية والاعتراضية، والاقتباس والتضمين من النص القرآني، والحديث النبوي الشريف، واستدعاء التاريخ والتراث، فضلًا عن الأساليب الخبرية والإنشائية، والأساليب الحجاجية. ويمكن التوقف مع البناء الأسلوبي على النحو الآتي:

(أ) الجمل الدعائية والاعتراضية: تضمنت رسائل الشكوى المقدمة من ابن مبشر للخليفة الموحدي يعقوب بن عبد المؤمن الكثير من **الجمل الدعائية** له ولغيره، وكذلك الجمل الاعتراضية الكثيرة التي جاءت في مجملها مكررة في جميع الرسائل على النحو الآتي:

نظرًا لطبيعة الرسائل بعدِّها رسائل رسمية مرسلة للحاكم؛ فقد أكثر الكاتب من الجمل الدعائية في مستهل رسائله، وكذلك مقدمته الحمدية، فضلًا عن العرض والخاتمة. حتى لنجد التكرار لبعض الجمل الدعائية نفسها في الشكايات الخمس خاصة قوله: (والدعاء لسيدنا أمير المؤمنين)، وجاء التنويع في افتتاح الرسائل، ومقدماتها لارتباطها بطبيعة الموضوع، وإن جاءت في مجملها الدعوة بالنصرة والتأييد، والبقاء ودوام السعد؛ الأمر الذي يمهد لعرض الموضوع، وسرعة النظر فيه. ويمكن حصرها في قوله: " حضرة سيدنا... أبقاها الله يستمر ساكنها... والدعاء لسيدنا أمير المؤمنين

بالتأييد العزيز... يقيم بكم العدل منارًا... ويبقيكم يحي بكم..."([١٤٥]). وقوله: " أدامه الله حاقنًا للدماء... ونسأله للإمام المهدي... ولسيدنا أمير المؤمنين في نصر عزيز وفتح مبين ولنجله الأمير الأجل في سعود متتالية... يبقيكم لحقن دماء وإحياء نفوس"([١٤٦]). وقوله: " مد الله له في البسطة ضياءً ونورًا...والدعاء لسيدنا أمير المؤمنين في أن يولي الله حزبه المنصور تظفيرًا وتأييدًا ولسيدنا الأمير الأجل أبي يعقوب في سعد مكين ... يديم أيامكم، ويجعل سعدكم المكين أمامكم، ويقرن بسيرة العمرين غشيانكم وإلمامكم "([١٤٧]). وقوله: " أقام الله منار الحق والعدل ببقائه، وأهب علينا روح الانتصاف والانتصار من تلقائه... وندعو لسيدنا أمير المؤمنين في نصر عزيز يرد الكافرين والمارقين ويقمع، ولسيدنا الإمام الأعدل، الملك الأفضل، أبو يعقوب في سعود جمة... يعمر بالفتوحات النيرة صباح حضرتكم السامية ومساءها.."([١٤٨]). وقوله: " مد الله... في أيامكم، وعقد بالنصر والظفر منشور أعلامكم"([١٤٩]).

فبالنظر في جملة المعاني المقدمة في الجمل الدعائية لدى الكتب، داخل الشكايات نجد أنها دارت حول الدعوة بالنصرة والتأييد، ودوام السعد، والبقاء في المقدمة دائمًا، والدعوة بإقامة العدل، ونصرة المظلوم، وإفشاء السلام، واستمرار النصرة، والنصر في الخاتمة، وجميعها يرتبط بالموضوع المقدم بالشكوى سواء حقن الدماء، وحفظ الأرواح، وإقامة العدل والقضاء على الظالمين، وكذلك رد المارقين والساطين على حقوق الغير، ويخالفون أوامر الدولة الموحدية، كما أنها تمهيدية لعرض موضوع الشكوى في سطو التجار على أموال الغرباء، وكذلك الدعوة بحقن الدماء، لرغبته في محاكمة القاتل الساعي لقتله، ورغبته في إقامة العدل، وإفشائه بعزل القاضي ومحاكمته، فضلًا عن الدعوة للموالين للدولة المنعوتين بحزبه، بالنظر والتأييد دائمًا.

كما شملت الجمل الدعائية الدعوة لآل البيت الموحدي من خليفة، وأمير، وولي عهد في بعض مقدمة الشكايات. كما أظهرت الجمل الدعائية بُغض الكاتب للنصارى، والدعوة للأمير بالظفر عليهم، فلا نكاد نجد شكوى تخلو من الدعاء عليهم والنيل منهم. كما جاءت الجمل الدعائية بدوام الدولة، ومواصلة السعود، وتتابعه في الدولة الموحدية، مضمرة ومعلنة بالولاء والتأييد، والرغبة في بقائها شامخة، كما جاءت الدعوة ببقاء

العمر الممتد للأمير، ومواصل النصر في جميع الشكايات الخمس. كما نرى في جملة (أدام الله تأييدكم) الدعاء بالتأييد للحاكم، وفي الوقت ذاته النسق المضمر في رغبة الكاتب لتأييد الحاكم له بالبت في شكوته، وعودته لأصحابها منصورًا.

وإن تضمنت الجمل الدعائية التأييد المعلن والولاء للدولة الموحدية، ورأسها، وإن أضمرت العاطفة غير الصادقة في كثرة الإطراء والمدح، فجميعها جاءت من بابه، وكذلك التمهيد لتقديم الشكوى، والرغبة في النظر فيها، ومن ثم جاءت تراثية تقليدية، ارتبطت كثيرًا بالأدباء، والبلاط السلطاني على المستوى الأدبي شعره ونثره.

أمَّا **الجمل الاعتراضية** في شكوى ابن مبشر تمثلت في الجمل الدعائية للأمير ورجالاته، وأيضًا في خدمة شكوته المقدمة من باب المدح، والدعوة بالتأييد مجهرة، وإعلان الولاء للدولة ورأسها. وقد لوحظ تكرار جملة (أدام الله تأييدكم_ أيدكم الله) أكثر من إحدى عشرة مرة في جميع الرسائل، بل تكررت في رسالة واحدة ثلاث مرات متتالية، ومتعاقبة؛ بما يوحي برغبته في إعلان ولائه وتأييده للأمير ودولته، ومن باب مدح الأدباء للسلاطين، بما يحبون، وهو بقاء الحكم، واستمرار الانتصارات، فجميعها من باب المدح والإشادة، والرغبة في البت في شكواه.

كما حملت جملة (دمرهم الله) رؤيته المعادية للأخر الديني، وإن حملت النسق المضمر في الدعوة بالقضاء عليهم من قبل الدولة الموحدية، وفرض سيطرتهم عليهم. كذلك الدعوة للطلبة بالتكرمة من باب المدح، لكونهم من كبار الساسة الموحدين، القائمون على أمور الدولة الموحدية، والموكلون بتحقيق رغبة صاحب الشكوى في الإمساك بالقاتل، ومحاكمته؛ ومن ثم بقائه على قيد الحياة، كما حملت الشكوى الخامسة الدعاء لبعض الشيوخ الساعين في التفريج عن الزوجة، ومساعدتها بما يوحي بسعيهم الدائم لنجدة الملهوف، فضلًا عن كتمانهم للأسرار، وحفظها، بقوله: "والشيخ أبو فلان وغيره من شيوخ بني فلان_ وفقهم الله_ يعلمون أمرنا ويخبرون سرنا"([١٥٠]). كما اعتمدت على التوضيح المُحلَّى بالإطراء في قوله: " مد الله_ سيدنا ومولانا أمير المؤمنين_ في أيامكم" وقوله: " وأنتم بعدلكم الذي سار مسير الشمس في كل بلدة،

ونظركم الموفق .. تبطلون الباطل وتتوخون بهدايتكم رده"([١٥١])، بما يخدم فكرته، ورؤيته في نيل العدل ومناصرته، وإنصاف أصحاب شكوته.

فمن جملة ما سبق: نرى أن الجمل الاعتراضية في رسائل الشكوى عند ابن مبشر جاءت جميعها من باب الإطراء والمدح والإشادة، خاصة الدعاء بالتأييد، ومواصلة النصر، وبقاء الدولة، وكذلك الدعوة بالتوفيق للشيوخ الأخيار، وكذلك رجال الطلبة الإداريين. ومن ثم فهي مساعدة للتمهيد في عرض الشكوى وغرضها.

(ب) الاقتباس والتضمين: كان لأسلوب الاقتباس والتضمين أثر كبير في أسلوب ابن مبشر وتعبيراته، ونقل رؤيته وتدعيمها وتوضيحها، وتمثل في التضمين من القرآن الكريم، والحديث الشريف، فضلًا عن الحكم واستدعاء التراث، وبعض المصطلحات الفقهية، ويمكن التوقف معها على النحو الآتي:

(١) القرآن الكريم: تمثل اعتماد الكاتب على التضمين من النص القرآني في تقديم الرؤية المدحية والإطراء بالدعاء، والصلاة على النبي _صلى الله عليه وسلم_ وجاءت جميعها في التضمين بالمعاني، وورود بعض المصطلحات، والألفاظ القرآنية، وتراكيبها، وبنفس سياقها المقرون من مثل قوله: " حضرة سيدنا الإمام الأعدل...أبقاها الله يستمر ساكنها ويدوم خالدها"([١٥٢]) فقد شبه الحضرة الأندلسية بجنة الخلد التي يستمر ساكنها، ويهنأ خالدها، متضمنًا قوله تعالى: ﴿ **أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ** ﴾([١٥٣]). كذلك قوله من باب الإطراء بالملك، ورغبته في القضاء على الظلم، الذي يشبه الشياطين، الذين يعبثون بالخلائق، ويفسدون، وما يتناسب معهم من رجم، وغيره في قوله: " ورجا من الحضرة الإمامية أن ترسل على مزيد الضلالة رجوما"([١٥٤])، متضمنًا النص القرآني: ﴿**وَلَقَدۡ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلۡنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ**﴾([١٥٥]). كما قدم في رؤيته النصية، وسرد أعمال القاضي العبثية؛ برجوع المرأة لزوجها دون محلل، مخالفًا للشرع، وعقيدته التي تنص على قوله تعالى: ﴿ **فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ**﴾([١٥٦]).

وفي مدحه للأمير من خلال التضمين بالنص القرآني الموحي بنصرته، وتأييده من الله في إقامة العدل، والقضاء على الظلم، وباطله، وعدم مناصرته في قوله:"

وأيامكم... تبطل الباطل وتزهقه"([١٥٧])، كذلك قوله ممتدحًا" تبطلون الباطل وتتوخون بهدايتكم رده"([١٥٨]) متضمنا قوله تعالى: ﴿ **لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ** ﴾([١٥٩])، فتوظيف الآيات ومضمونها جاء مدعمًا لموقف الكاتب، حاملًا لرؤيته، وسعى من خلاله الوصول لمرام شكوته.

كما اعتمد على التضمين القرآني في مقدمته الحمدية، التي حملت تأطيرًا لعرض شكوته الثانية، الحاملة لرغبته في القصاص من القاتل بقوله: " وجعل لولي المقتول المظلوم على قاتله وظالمه سلطانا"([١٦٠])، متضمنا قوله تعالى: ﴿ **وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا**﴾([١٦١]). كما عبر عن ولائه، ورغبته في التأييد المستمر للأمير من خلال النص القرآني بقوله في نفس الشكوى: " ولسيدنا أمير المؤمنين في نصر عزيز وفتح مبين يكسر نواقيس مضللة وصلبانا"([١٦٢]) متضمنا قوله تعالى: ﴿ **وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ** ﴾([١٦٣]). كذلك قوله في مستهل الشكوى الثالثة حامدًا:" حمد لله الذي جعل العدل ظلًا ممدودًا"([١٦٤])، متضمنًا قوله تعالى: ﴿ **وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ** ﴾([١٦٥])، مشبهًا حال المؤمنين في الجنة بالعدل الذي فرشه الله في أرضه. بما يتضمن نصحه للأمير بضرورة العمل بها، ومن ثم رجوع الحق لصاحب شكوته. وفي توضيح جور الأخوة في قوله: " فلم يفرضوا لي منها فريضة بل غادروا حصتي منها منقوصة"([١٦٦])، متضمنا قوله تعالى ﴿ **وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ** ﴾([١٦٧]). وكذلك قوله بالرغبة في عودة صلة الرحم المتقاطعة: " والله عز وجل يفل بعدلكم المبسوط شباهم...حتى تتساوى وتتناصف، وتتعالم بعد التناكر وتتعارف، وتتذاكر حقوق الرحم المتشابكة"([١٦٨]). متضمنًا قوله تعالى بقوله: ﴿**وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ**﴾([١٦٩]). وفي ثنائه على النبي _صلى الله عليه وسلم_ بقوله: " والصلاة على محمد المصطفى المبتعث بالسنى الأنور والضياء الأسطع"([١٧٠]) متضمنا قوله تعالى ﴿**وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا**﴾([١٧١]).

فمن جملة ما سبق: نجد اعتماد ابن مبشر في أوصافه ومدحياته، وتقديماته، ومصطلحاته على التأثر كثيرًا بالقرآن الكريم ومفرداته، وصوره واستعمالها فيما يخدم فكرته، ورؤيته المدحية، أو الشكائية، فضلًا عن خلوها من الاقتباس الكلي والظاهر من النص القرآني، وإنما جاءت من باب التضمين بالمعنى، والمفردات، والتراكيب.

(٢) الحديث الشريف: جاء الحديث النبوي الشريف في المرتبة الثانية في جملة توظيفات ابن مبشر داخل النص الخطابي لرسائل الشكوى، فقد استعان بالحديث متضمنًا نصوصه، وسياقاته، في خدمة رؤيته من مثل قوله: " على محمد المصطفى صلاة توليه المقام المحمود والحوض المورود"(١٧٢)، متضمنًا الحديث: "**عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: عسى أن يبعثك مقامًا محمودًا" قال: "المقام الذي أشفع لأمتي فيه**"(١٧٣).

كما استعان بالحديث الشريف في تقديم خصال القاضي السيئة، في أحكامه الشرعية بقوله: " ونقض عري الشرع أنكاثًا"(١٧٤)، متضمنًا قول النبي: " **لتنقضن عرى الإسلام عروة عروة فكلما انتقضت عروة تشبثت الناس بالتي تليها فأولهن نقضا الحكمُ وآخرها الصلاة**"(١٧٥). فيرى الكاتب أن القاضي نقض عرى الإسلام في أولها، المتمثل في أحكامه بالهوى، ومخالفة الشريعة بعودة الزوجة لزوجها دون محلل. كما عبر عن سلب حق الرجل من ميراث أبويه من قبل إخوته، كما تسل الشعر من العجين متضمنًا الحديث النبوي: " **عن حذيفة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم" لا يقبل الله لصاحب بدعة صوما، ولا صلاة، ولا صدقة، ولا حجا، ولا عمرة، ولا جهادا، ولا صرفا، ولا عدلا، يخرج من الإسلام كما تخرج الشعرة من العجين**"(١٧٦).

كما حملت رؤية الكاتب المقدمة على لسان الزوجة برغبتها في الخلاص من زوجها، وحل عنقها من ربقة اقتساره(١٧٧)، فعن ابن عمر، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: " **من خرج من الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه حتى يراجعه**"(١٧٨). وإن جاء التضمين من حيث الصياغة اللغوية فقط؛ وليس بالمدلول، إذ يدعوا الحديث للتجمع، وليس الفُرقة التي تريدها الزوجة، ويعبر عنها كاتبها.

(٣) استدعاء الفقه والتراث: اعتمد الكاتب قليلًا عن توظيف بعض **الأمور الفقهية**، واستدعاء بعض الشخصيات التراثية والتاريخية بما لهم من شهرة في التاريخ الإسلامي والعربي من مثل قوله: " يحكم في النوازل بلا رأي القائل"(١٧٩)، في حديثه عن أهواء القاضي في أحكامه، ومخالفته للشرع، فاجتهاداته دائمًا ما يتبع فيه الهوى، بعيدة عن القرآن والسنة؛ فالنوازل هي" القضايا والوقائع التي يفصل فيها القضاة طبقًا للفقه الإسلامي، وهي المسائل الجديدة التي تحتاج اجتهاد وفق الشريعة"(١٨٠). ولعل في الاستدعاء ما يوحي بتوضيح الكاتب لفساد أحكام القاضي، التي تتسبب في تضليل المجتمع ورعيته، ومن ثم الرغبة في عزله. كذلك استدعائه المصطلح الفقهي (غشيان)(١٨١). وكذلك الاقتسام الشرعي في قضية الميراث ونزاع الأخوة عليه.

كما استعان **بالشخصيات التاريخية** في تقديم رؤيته المدحية للأمير، والمبتغى المضمر من خلالها؛ خاصة الفاروق عمر، وشخصيته التاريخية المقرونة بالعدل، وإضفاء صفاته على أميره بقوله: "ويبقيكم يحيى بكم قضايا عمر الفاروق وسيره"(١٨٢). وكأنه المكمل لسيرة الفاروق، والحاكم في تتمة قضاياه، فهو تشبيه مضمر به مبالغة نصية، وإطراء له هدفه المنشود؛ في أن ينظر الأمير في قضيته بعين العدل، والبت فيها بالإنصاف لمظلوميه، كما كان يفعل عمر.

كما استدعاه مرة أخيرة برفقة الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز في تقديم قضيته، والمدح من خلالها بقوله: " ويقرن بسيرة العمرين غشيانكم وإمامكم"(١٨٣). فالتوظيف لسيرتهما وسيلة إطرائية تشبه سيرته، وأفعاله، وأحكامه، وقضاياه بهما، وربما تتخطى للزمن الذي يشبه زمانهما، بما لهم من حضور في التاريخ الإسلامي، وسيرة عدلهما، وكأن الحاكم هو المتمم لهم، والسائر على نهجهم؛ ومن ثم جاء الاستدعاء موحيًا بضرورة العدل وإفشائه، فضلًا عن الحزم والبت في القضايا المرفوعة، فحضور العمرين يتضمن العدل والسعي لتحقيه من ناحية، ويحمل نسقًا مضمرًا تمثل في أن العدل على الرغم من إيمانه بوجوده _وإلا ما استدعى التشبيه_ إلا إنه يغيب عنه، وعن القضايا التي يحملها ويقدمها.

(٤) الحكمة: اعتمد ابن مبشر بندرة على توظيف الحكم في تقديم رؤيته الشكائية من مثل قوله واعظًا: " فإن قمع الظلمة من أبر الأعمال وأزكاها، وأسيرها إلى رضا الله العزيز وأحراها"(١٨٤). فالحكمة تحمل النسق المضمر في نصيحة الكاتب للخليفة بضرورة قمع الظلم، وعقاب المارقين، ومن ثم تحقيق رغبة صاحب شكوته. كما وظفت الزوجة الحكمة في تصرفها مع زوجها، راغبة في هناء معيشتها عندما ارتضت العدم بقولها: " حتى اختلعت منه بكثير من مالي، ورضيت العدم ثمنًا لرخاء بالي"(١٨٥)؛ فتصرفها يحمل المقابل الذي سعت له دون جدوى.

فمن جملة ما سبق: قد خلت رسائل ابن مبشر في الشكوى من الأمثال، والاستعانة بالأشعار، أو تضمنها؛ وربما يرجع ذلك لرسميتها، وقصرها، واهتمامه بالموضوع الرئيس المبتعد عن الحشو والصنعة الفنية، وقلة الرسائل عددًا، ففي الاستزادة التنويع. ولعل في جملة استدعائه المقدم ما يوحي بثقافة الكاتب، وكثرة مطالعاته على جميع المستويات الثقافية، فضلًا عن نزعته الدينية.

(ج) الأسلوب الخبري والإنشائي: نوَّع ابن مبشر في تقديم شكاياته، وبنائها بين الأساليب الخبرية والإنشائية؛ فنجده يعتمد بشكل كلي على **الأساليب الخبرية** في بناء جمله، وتقديم أسلوبه النثري؛ إذ أن الشكوى في أساسها رسالة يخبر بها الكاتب (الشاكي) المرسل إليه بأمور أصابته، أو مواقف تضرر منها، ثم يردفها بالمطالبة برفع هذا الضرر ودفعه. فمن جملتها قوله: " يضرب ظهور المسلمين بغير حقها"(١٨٦). فقد حوت الجملة أسلوبًا خبريًا يفيد المخاطب، ويحمل الفكرة والمقصد إليه، وكذلك قوله: " يضربهم بالسياط إيقاعًا، ويملأ قلوبهم ذعرا مخيفًا وارتياعا...أخذ على ذلك عشرة دنانير..."(١٨٧). كما اعتمد على الأسلوب الخبري لازم الفائدة في قوله: " وعند عبدكم من قبيح قضاياه، وذنوبه في الرعية وخطاياه.."(١٨٨) بما يوحي بمعرفته القريبة بأفعاله، وخصاله السيئة بنفسه دون غيره، فيعتمد على يقين الفعل لا على السماع، ويريد إخبار المخاطب بها، الأمر الذي يفيده في عرض شكوته.

كما نوع في الأغراض المجازية في تقديم الأسلوب الخبري، منها مضجرًا من صنيع الأمير نفسه بتجاهل وجوده في حاضرة الخلافة بقوله: " قد طال بالحضرة

السامية مقامه.."([١٨٩]). وأظهر الضعف في قوله خبريًا: " قد لذت بحماكم وتوسمت روح نعماكم"([١٩٠]). واستشعار الظلم في قوله: " جاروا علي يوم اقتسامهم"([١٩١]). كما اعتمد على تقديم النصح بقوله:" فإن قمع الظلمة من أبر الأعمال وأزكاها"([١٩٢]).

أمَّا **الأسلوب الإنشائي** فقد اعتمد عليه الكاتب بصورة أقل من نظيره منوعًا فيه بين الطلبي، وغير الطلبي، فوظف أسلوب التمني في إظهار الرغبة بالرجوع للأهل، والوطن بقوله:" رغب في الرجوع إلى بلده، واجتماع شمله بأهله وولده"([١٩٣]). كما اعتمد على أسلوب التعجب في ما آل إليه الرعية من اضطهاد، وتعسف بعد ما شملتهم عناية الأمير، وتكفل بكرامتهم بقوله: " ومع ما نال العباد من الكرامة الكريمة، والأيادي الجزيلة العميمة، يضربهم بالسياط إيقاعا"([١٩٤]). فضلًا عن كثرة الجمل الدعائية في الرسائل برمتها من مثل قوله: " والله جل وعز يبقيكم لحقن دماء.."([١٩٥]). واعتمد على التمني في قوله: " عسى أن يُنهي إلى الطلبة... أن ينفذوا من يتكفل بإحضاره، ويزعجه عن أهله وداره"([١٩٦]). كما وظف أسلوب الاستفهام عند تقديم رؤية الزوجة وصنائع زوجها فيها بقوله: " وحشد أوصافها؟"([١٩٧]).

واعتمد على أسلوب الإنشاء غير الطلبي في بناء جملته، وأسلوبه في شكاياته من مثل قوله راجيًا: " ورجا من الحضرة الإمامية أن ترسل على مزيد الظلالة رجوما"([١٩٨]). وقوله راغبًا في أن ينال القسط من الخليفة: " رجا أن يأخذ بقسطكم وعدلكم من ثأره بمنيمه"([١٩٩]). كما اعتمد على الذم في وصف أفعال القاضي، وقيامه على خدمة مكوس النصارى([٢٠٠]). واعتمد على أسلوب المدح من خلال جمله الإطرائية في الأمير، والتي تطول، وتكثر في الرسائل منها قوله: " تبطل الباطل وتزهقه"([٢٠١]).

(د) الأساليب الخطابية: نوع ابن مبشر في رسالة الشكوى بين الكثير من الوسائل الخطابية، والأسلوبية في خطابه المقدم للخليفة منها:

(١) الأسلوب المرسل: هو الأسلوب الذي يعتمد على الفطرة دون تكلف وصنعة، ويخلو من المحسنات اللفظية التي يعتمد عليها الكاتب في بناء جمله، وفيه يبتعد عن الخيال وصوره؛ لأن الكاتب يهتم بالمعنى أكثر من اللفظ، ويسعى لما وراءه من أهداف، وبتتبع رسائل الشكوى عند ابن مبشر نجد ندرة استخدامه لهذا الأسلوب، اللهم إلا في

خاتمة الرسالة، فقد ارتكز على الأسلوب المرسل بكلمات تكرارية في جميع رسائله تمثلت في قوله: " بمنه لا رب غيره"([٢٠٢]). وقوله: " بمنه"([٢٠٣]). ويرجع ذلك لاعتماد الكاتب على الصنعة الفنية في بناء رسائله على المحسنات اللفظية، كما قدمنا من قبل، وهو بناء يبرز قوة الكاتب، وبراعته الأدبية والكتابية.

(٢) <u>الأسلوب المسجوع:</u> اعتمد ابن مبشر في بناء رسائله على الأسلوب المسجوع بصورة كلية، وقد برع في انتقاء موسيقاه، وأبرز ملكته الإبداعية، ويحسب له مزاوجته بين الاهتمام بالمعنى والهدف من ورائه_ والذي هو من سمات الأسلوب المرسل_ وبين الاهتمام بالمحسنات اللفظية خاصة السجع الذي قامت عليه رسائل الشكوى بشكل يبتعد عن التكلف، والتصنع في استدعاء الألفاظ؛ فقد انتقى الكاتب ألفاظه بما يتناسب مع موضوع شكوته، ويعبر في الوقت نفسه عن انفعالاته، وتعبيراته المختلفة. ويقصد بالأسلوب المسجوع الكلام الموقع الذي فواصله على روي واحد مثل فواصل الشعر، إلا إنها ساكنة الإعجاز، موقوف عليها([٢٠٤]).

وبالنظر في جملة رسائل ابن مبشر نجد أن هذا النوع الأكثر شيوعًا، بما يوحي ببراعة الكاتب التي تجمع بين الأساليب المختلفة في أسلوب واحد ظاهر، كما توحي بامتلاكه الحصيلة اللغوية المائزة التي تخلو من التكلف والتعقيد. فنجد الموسيقى الصوتية في قوله ساجعًا: " يتكفل بإحضاره، ويزعجه عن أهله وداره"([٢٠٥]). كما يلاحظ اعتماده على التنويع في فواصل الجمل؛ باستدعاء السجعات المختلفة، من خلال الجمل القصيرة من قوله: " من تجار سوق السماط كتبوني في جملتهم وألحقوني بفئتهم... لم يصفق قط في سوق، ولا كان له مع أهل السماط اتصال ولا لصوق.."([٢٠٦]). كما اعتمد على استدعاء السجعات الموفقة من خلال جمل متتابعة، دون تنويع في رويها مثل قوله: " حتى تتساوى وتتناصف، وتتعالم بعد التناكر وتتعارف، وتتذاكر حقوق الرحم المتشابكة وتتواصف"([٢٠٧]). ويلاحظ فيها الازوداج في عدد الكلمات بين كل فاصل، وهو أمر مقبول في بناء الأسجاع إذ أن : " قصر الفقرات تدل على قوة التمكن وإحكام الصنعة"([٢٠٨]).

كما يلاحظ عدم استخدام ابن مبشر في شكاياته لسجعة، ثم تتبعها بسجعات مختلفة، ثم العودة إليها مرة أخرى؛ لاعتماده على كثرة الفواصل بالتنويع بين السجعات، بما يوحي ببراعته الأدبية، وقدرته اللغوية الهائلة. ونرى عدم التكلف في الاستدعاء، فكل لفظة لها حضورها الفعلي في تقديم المعنى المقدم من الكاتب، فالكلمة محملة بفكرته ورؤيته. كذلك الاعتماد على أكثر من سجعة في الرسالة الواحدة، إذ تتعدى السجعات في الشكوى الأولى ثلاثون سجعة.

(٣) الحِجَاج: اعتمد ابن مبشر في رسائل الشكوى على الحجاج؛ كوسيلة داعمة تقربه من أهدافه المنشودة من وراء شكاياته، فهو عنده ركيزة إقناعية، تدلل على أوصافه، ومزاعمه المقدمة لدى الأمير. فنجده يعتمد على تقديم صورة القاضي بمعداته للمسلمين، وتولي أمور النصارى، الساعي لخدمتهم، وجهله بأمور الدين، فضلًا عن عنفه، وقسوته، كوسائل حجاجية وإقناعية تستوجب ضرورة عزله، والبت في أمره، فكما يُعلم أن الخليفة المسلم لا يرتضي بمثل هذه الصفات في الحاكم بأمره في شئون رعيته. كما اعتمد على المقارنة المضمرة بين صنيع القاضي، وصنع الأمير في الرعية كوسيلة إقناعية أخرى. فالرسالة تتضمن حيلة الكتابة المزخرفة بالمعنى، فالرعية قد كفلهم الأمير بالأيادي الجزيلة، والحياة الكريمة، فعلى النقيض يسلبهم القاضي حريتهم، ويضرب ظهورهم بالسياط كالعبيد، فالمقارنة دافع وحجة؛ تستوجب النظر في بقائه على أمور الحكم بين الناس([٢٠٩]).

كما استدعى الكاتب الشخصيات الإسلامية والتاريخية المشهود لهم بالعدل، وخلفاء قائمين على أمور المسلمين من قبل الأمير، بما يوحي بضرورة السير على نهجهم، واستكمال مسيرة عدلهم حتى يشهد له التاريخ، وبهم تقرن سيرته؛ فالإطراء بالعدل وسيلة حجاجية مقدمة للأمير، وغاية يهدف من ورائها تحقيق مطلبه من الشكوى([٢١٠]).

ولعل في تكرار الكاتب للكثير من الجمل، خاصة التي تحمل العدل والقسط، وصورهما وسيلة حجاجية، ونسقًا مضمرًا يوحي بغيابه؛ الأمر الذي يستوجب على الأمير النظر فيه وإقامة دولته عليه، فلنرى كم من الأمم التي هلكت بغياب عدلها؟!

وفي إظهار الضعف، وتبيان الشخصية المغلوبة على أمرها، وسعي صاحب شكوته الثالثة لأواصر الرحم، وغياب القطيعة، وسيلة استعطاف للأمير بضرورة استرجاع حقه المسلوب، وعودة القوة للشخصية بعودة حقها، ومكانتها بين أفراد أسرتها([٢١١]). كذلك إظهار ضعف الساعين لخلاص الزوجة من زوجها من الشيوخ، وفي المقابل قوة الخليفة وسيلة لخلاصها بقوله: " والشيخ أبو فلان وغيره من شيوخ بني فلان... يعلمون أمرنا ويخبرون سرنا، والله لا يعدم الملهوفة المضطهدة من نظركم المؤيد بالسداد"([٢١٢]). كما اعتمد على الحجاج اللفظي بتعبيره عن مصاب الزوجة بداهية الدهر؛ بما يوحي بثقل مصابها، وهي الضعيفة بخلقتها كامرأة تستوجب رجلًا لحمايتها، ويرد إليها أدميتها المفقودة، جراء صنيع زوجها معها، بعد عجز الجميع، فلا يسد مسد أميرهم أحد.

الخاتمة

<u>توصلت الدراسة لجملة من النتائج يمكن ذكرها على النحو الآتي:</u>

١- أن الشكوى الاجتماعية تجلت في شكايات ابن مبشر من خلال موضوعات عدة؛ تمثلت في زعر الرعية، وفقد كرامتهم الأدمية في المجتمع الموحدي في المغرب وإفريقيا من قبل قاضيهم، كذلك الرغبة في الثأر، وبقاء النفس، والتفكك الأسري بسلب الحقوق المشروعة سواء الميراث، أو سوء المعاملة من قبل الزوج لزوجته، بما يتنافى مع تعاليم الدين والأعراف. ورفض الكاتب التهميش الأسري والمجتمعي معًا. والتفكك الأسري بسلب الحقوق سواء مادية أو معنوية.

٢- حملت جميع الشكايات السياسية في طياتها المعاناة من قبل الرعية تجاه الساسة في المغرب وإفريقيا، الذين يتجاهلون أمور رعيتهم، والنظر فيها، الأمر الذي يخالف سياسة الدولة الموحدية؛ الأمر الذي دفعهم لرفع شكواهم للحاكم مباشرة. مما يُعدُّ إهمالاً سياسيًا من قبل الولاة ظاهريًا، ومن قبل الحاكم نفسه من خلال النسق المضمر.

٣- تمثلت شكايات الكاتب النفسية له، ولأصحابها في الكثير من المظاهر أبرزها؛ شكوى الاغتراب، وطول المقام في حضرة الدولة، فضلًا عن التجاهل، والشعور بالحط

من القدر، عند عدم النظر في الشكوى سريعًا، والرغبة في البقاء بمأمن، والذعر، والخوف من البطش، والفتك في الشكوى الأولى والثانية، والظلم الواقع على النفس جراء التعاملات سواء الأسرية مع الزوجة في الشكوى الرابعة، أو من المجتمع وأفراده والقائمين عليه إداريًا في الشكوى الأخيرة.

٤- زاوجت الرسائل في شكلها الكلي، وبنيتها ما بين التقليد في المضمون، والتجديد في البناء؛ إذ ابتدأت بالمدح، واختتمت بالدعاء والسلام، والشكر. فهيكل رسالة الشكوى عند ابن مبشر تمثل في المقدمة المدحية، والثناء والشكر، ثم عرض الموضوع، والخاتمة بالدعاء والسلام.

٥- أظهرت المعاني والأفكار شخصية الكاتب المضمرة من حبه للخير، وسعيه للمشاركة المجتمعية، وإقامة العدل، والولاء لدولته وساستهم، وإن كنا نرى فيه الضعف في الشكوى الأولى؛ لخوفه من بطش القاضي. ومن صور معاني الكاتب في الشكايات الخمس؛ الرغبة في البقاء وحب النفس، والحرية والسعادة، وكره القاضي ومواليه، والرغبة في التميز من قبل الحاكم، وضعف المرأة وأصحاب الشكايات، وقمع الظلم، ورد المظالم لأصحابها، والرغبة في إفشاء السلام والعدل.

٦- جاءت جملة التشبيهات المقدمة، والتي استند عليها الكاتب في شكواه موفقة، وبعيدة عن المقدمات، والخاتمة التي خلت منه نهائيًا، وجاءت جميعها في خدمة الرؤية المقدمة، وناقلة لتعبيرات الشكوى، وانفعالات أصحابها.

٧- أبدع الكاتب في توظيف الصور الاستعارية، والكنائية في شكاياته، وجاءت جميعها في نقل رؤيته التوضيحية، والتفسيرية لها، ووسيلة في الوصول للمبتغى منها.

٨- تميزت أسجاع ابن مبشر في رسائل الشكوى بالتنويع بين الفواصل، والبعد بها عن التكلف والصنعة في الاستدعاء، كما أنه لم يجر على حرف واحد، وجاءت متناسبة مع عاطفته إذا ما تجاهلنا المقدمة الافتتاحية المدحية، وتميزت بقصر الفقرات والعبارات، فضلًا عن تقليديتها، وسهولتها، وتكرارها، وتناسبها لموضوع الشكاية.

٩- جميع الشكايات حملت الجناس الناقص، غير المتكلف، واتسم بالسهولة والبساطة، وقليل للغاية إذا ما قورن بالسجع؛ إذ نجد شكايات كاملة لا توجد فيها أي صورة تحمل

الجناس، كما أنه لم يعتمد عليه كثيرًا؛ لارتكازه على الطبع، ونظرًا لرسمية الشكوى، وأهمية القضايا التي تحملها، والرغبة في المباشرة القولية من خلال البنية المقدمة؛ الأمر الذي جعله يبتعد عن الزخرفة القولية، والشكلية.

١٠- جاءت جميع الجمل الاعتراضية والدعائية في رسائل الشكوى عند ابن مبشر من باب الإطراء، والمدح والإشادة، خاصة الدعاء بالتأييد، ومواصلة النصر، وبقاء الدولة، وكذلك الدعوة بالتوفيق للشيوخ الأخيار، ورجال الطلبة الإداريين. ومن ثم فهي مساعدة للتمهيد في عرض الشكوى، وغرضها.

١١- اعتمد ابن مبشر في أوصافه ومدحياته، وتقديماته، ومصطلحاته في شكاياته على التأثر كثيرًا بالقرآن الكريم ومفرداته، وصوره واستعمالها فيما يخدم فكرته، ورؤيته المدحية أو الشكائية، فضلًا عن خلوها من الاقتباس الكلي الظاهر من النص القرآني، وإنما جاءت من باب التضمين بالمعنى، والمفردات، والتراكيب.

١٢- خلت رسائل ابن مبشر في الشكوى من الأمثال، والاستعانة بالأشعار، أو تضمنها؛ وربما يرجع ذلك لرسميتها، وقصرها، واهتمامه بالموضوع الرئيس المبتعد عن الحشو، والصنعة الفنية، وقلة الرسائل عددًا، ففي الاستزادة التنويع. ولعل في جملة استدعائه المقدم ما يوحي بثقافة الكاتب، وكثرة مطالعاته على جميع المستويات الثقافية، فضلًا عن نزعته الدينية.

١٣- اعتمد ابن مبشر في بناء رسائله خطابيًا على الأسلوب المسجوع بصورة كلية، وقد برع في انتقاء موسيقاه، وأبرز ملكته الإبداعية، ويحسب له مزاوجته بين الاهتمام بالمعنى، والهدف من ورائه_ والذي هو من سمات الأسلوب المرسل_ وبين الاهتمام بالمحسنات اللفظية خاصة السجع الذي قامت عليه رسائل الشكوى بشكل يبتعد عن التكلف، والتصنع في استدعاء الألفاظ.

الهوامش

(١) علي جميل مهنأ: الأدب في ظل الخلافة العباسية، ط١، ١٩٨١، ص٢٢٣.

(٢) ينظر: عمر عروة، النثر الفني أبرز فنونه وأعلامه، دار القصبة، ص٣٣ وما بعدها.

(٣) باقر سماكة: التجديد في الأدب الأندلسي، بغداد، مطبعة الإيمان، ١٩٧١، ص٩٨،٩٧.

(٤) نفسه: ص٩٨.

(٥) عبد العزيز عتيق: الأدب العربي في الأندلس، ط٢، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٧٦، ص٤٤٨.

(٦) عبد العزيز عتيق: في النقد الأدبي، ط٢، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٧٢، ص٢٢٣.

(٧) فوزي عيسى: الترسل في القرن الثالث الهجري، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩١، ص١٨.

(٨) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٨، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٩٢، ص١٢٦.

(٩) شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي (العصر العباسي الأول)، القاهرة، دار المعارف، ص٤٩١.

(١٠) ينظر: القلقشندي، المصدر السابق، ج٩، ص٥.

(١١) ينظر: فايز عبد النبي فلاح القيسي، أدب الرسائل في القرن الخامس الهجري، ط١، عمان_ الأردن، دار البشير، ١٩٨٩، ص٢٩٣،٢٩٢.

(١٢) المراكشي: الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، المجلد الخامس، ط١، تحقيق: إحسان عباس، محمد بن شريفة، بشار عواد معروف، تونس، دار الغرب الإسلامي، ٢٠١٢، هامش ص١٦٧.

(١٣) أبو يعقوب يوسف بن أبي محمد عبد المؤمن بن علي القيسي الكومي صاحب المغرب، الخليفة الموحدي الثاني، بويع بيعة الجماعة يوم الجمعة ثامن ربيع الأول سنة ٥٦٠هـ، وذلك بعد وفاة والده عبد المؤمن بسنتين، لأنه لما بويع بعد وفاة والده توقف عن بيعته أناس من أشياخ الموحدين, وامتنع من بيعته أخواه السيد أبو محمد صاحب بجاية، والسيد أبو عبد الله صاحب قرطبة، فكف عنهم، ولم يطالبهم بيعة، وتسمى بالأمير ولم يتسم بأمير المؤمنين حتى اجتمع عليه الناس، دخل إلى جزيرة الأندلس لكشف مصالح دولته وتفقد أحوالها، وكان ذلك في سنة ست وستين وخمسمائة وفي صحبته مائة ألف فارس من العرب والموحدين فنزل بإشبيلية، فاتسعت مملكته بالأندلس وصارت سراياه تصل مغيرة إلى بلاد باب طليطلة، وهي كرسي بلادهم وأعظم قواعدهم. وكانت وفاته يوم السبت العاشر من ربيع الآخر سنة ٥٨٠ برواية الناصري، والسابع من رجب برواية ابن خلكان، قرب الجزيرة الخضراء، فحمل إلى تينمل فدفن بها إلى جوار قبر أبيه، دون الوصية منه بالملك لأحد من أولاده، وقال ابن خلكان في وصفه بأنه أبيض تعلوه حمرة، شديد سواد الشعر، مستدير الوجه، في صوته جهارة، رقيق حواشي الطبع، حلو الألفاظ، حسن الحديث، طيب المجالسة، أعرف الناس كيف تكلمت العرب، وكان فقيهًا حافظًا متفننًا، وكان ميله إلى الحكمة والفلسفة أكثر من ميله إلى الأدب وبقية العلوم، ويقال إنه كان حافظا لكتاب الله وصحيح البخاري، وكان حريصًا على الجمع بين علمي الشريعة والحكمة، ولم يزل يجمع عليه العلماء من كل فن من جميع الأقطار. ينظر في ترجمته: ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج٧، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار صادر، ١٩٧٨، ص١٣٦:١٣٠. وينظر: الناصري: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق: جعفر الناصري، محمد الناصري، الدار البيضاء، دار الكتاب، ١٩٥٤، ص١٤١:١٣١.

(١٤)أحمد عزاوي: رسائل موحدية (مجموعة جديدة)، ج١، ط١، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالقنيطرة، ١٩٩٥، ص٥٢١.

(١٥) ظافر عبد الله الشهري: الشكوى في الشعر العربي حتى نهاية القرن الثالث الهجري، ط١، السعودية، مكتبة الملك فهد الوطنية، ٢٠٠٢، ص١١.

(١٦) عباس يد اللهي_ زينب رضابور: شعر الشكوى عند أبي العتاهية وناصر خسرو القبادياني (دراسة موضوعية مقارنة)، بحث منشور ضمن مجلة جامعة أهل البيت، العدد١٥، ص٦٢.

(١٧) محمود محمد عبد الرحمن خياري: أدب الرسائل الديوانية في المغرب والأندلس في عهد الموحدين، رسالة ماجستير منشورة، الجامعة الأردنية، كلية الدراسات العليا، ١٩٩١، ص٨٥.

(١٨) عباس يد اللهي_ زينب رضابور: مرجع سابق، ص٦٣.

(١٩) إحسان عباس: تاريخ الأدب الأندلسي (عصر الطوائف والمرابطين)،ط٦، بيروت، دار الثقافة، ١٩٨١، ص١٧٧.

(٢٠) عبد الله بن علي بن ثقفان: الشكوى من العلة في أدب الأندلسيين،ط١، الرياض، مكتبة التوبة، ١٩٩٦، ص٥١.

(٢١)أحمد عزاوي: المصدر السابق، ص٥٢٢.

(٢٢) نفسه.

٢٣() نفسه: ص٥٢٤.

(٢٤) نفسه.

(٢٥) نفسه.

(٢٦) نفسه.

(٢٧) نفسه: ص٥٢٤.

(٢٨) ينظر: نفسه.

(٢٩) نفسه: ص٥٢٥.

(٣٠) نفسه.

(٣١) نفسه: ص ٥٢٥.

(٣٢) نفسه: ص٥٢٦.

(٣٣) نفسه: ص٥٢٦.

(٣٤) نفسه.

(٣٥) نفسه: ص٥٢٢.

(٣٦) نفسه: ص٥٢٧.

٣٧() نفسه.

(٣٨) نفسه.

(٣٩) القاضي عتيق بن مكسور الجنب: تطرق المراكشي إلى ترجمته من خلال الترجمة لحفيده محمد بن الحسن بن عتيق بن الحسن التميمي، مهدوي المسكن بأخرة مراكش، وبيته نباهته قديمة، وطريقته في البيوتات الإفريقية بل المغربية قويمة. ويرجع نسبه إلى ابن منصور الجنب وابن مكسور الجنب، ويبدو أن هذه الأخيرة هي شهرة هذا البيت المهدوي الذي كان منه عدد ممن تولوا القضاة في عهد الموحدين منهم عتيق بن مكسور الجنب وولده الحسن بن عتيق، ثم حفيده صاحب الترجمة، وأخوه أبو علي الحسن، وأخ لهما ثالث اسمه سليمان بن الحسن بن عتيق ابن مكسور الجنب. ويبدو أن بيتهم تولى مهام القضاة في دولة الموحدين، وكانوا من أصحاب المجالس السلطانية. ينظر: المراكشي: الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، مصدر سابق، المجلد الخامس، ص١٦٧.

(٤٠) ينظر: أحمد عزاوي: نفسه، ص٥٢٢.

(٤١) نفسه.

(٤٢) نفسه.

(٤٣) نفسه.

(٤٤) نفسه: ص٥٢٢.

(٤٥) نفسه.

(٤٦) نفسه.

(٤٧) نفسه: ص٥٢٣.

(٤٨) نفسه: ص٥٢٣.

(٤٩) الطلبة: يمثلون أعلى هيئة إدارية في الدولة الموحدية، وهم من قادة الجيش، وأعلى من مكانة الحفاظ، بل إن الوالي نفسه كان يُعد أحد كبار الطلبة، وكانت تُرسل إليهم المراسلات من قبل مركز الخلافة مباشرة. ينظر: أحمد عزاوي: رسائل موحدية (مجموعة جديدة)، الجزء الثاني، ط١، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالقنيطرة، ٢٠٠١، ص٢٢٨،٢٢٧.

(٥٠) أحمد عزاوي: مصدر سابق، الجزء الأول، ص٥٢٤.

(٥١) نفسه: ص٥٢٦.

(٥٢) نفسه: ص٥٢٧.

(٥٣) نفسه: ٢٢٥.

(٥٤) نفسه.

(٥٥) نفسه: ص٥٢٤.

(٥٦) نفسه: ص٥٢٧.

(٥٧) نفسه: ص٥٢٣.

(٥٨) نفسه: ص٥٢٢.

(٥٩) نفسه.

(٦٠) نفسه: ص٥٢٣.

(٦١) نفسه: ص ٥٢٤.

(٦٢) نفسه: ٥٢٤.

(٦٣) نفسه: ص٥٢٤.

(٦٤) نفسه: ص٥٢٦.

(٦٥) نفسه: ٥٢٥.

(٦٦) نفسه.

(٦٧) نفسه.

(٦٨) نفسه.

(٦٩) ينظر: نفسه، ص٥٢٧.

(٧٠) نفسه: ص٥٢٦.

(٧١) فايز عبد النبي فلاح القيسي: مرجع سابق، ص٣١٤.

(٧٢) الكلاعي: إحكام صنعة الكلام، تحقيق: محمد رضوان الداية، بيروت، دار الثقافة، ١٩٦٦، ص١١٥،١١٤.
(٧٣) نفسه: ص١٣٠.
(٧٤) ينظر: القلقشندي: صبح الأعشى، مصدر سابق، ج٦، ص٢٧٥.
(٧٥) ينظر: أحمد عزاوي: المصدر السابق، ص٥٢٢.
(٧٦) نفسه: ص٥٢٤.
(٧٧) نفسه: ص٥٢٥.
(٧٨) نفسه: ص٥٢٦، ص٥٢٧.
(٧٩) ينظر: ص ٥٢٢، ٥٢٦.
(٨٠) ينظر: صفحات ٥٢٢،٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٧.
(٨١) ينظر: نفسه، ص٥٢٦.
(٨٢) نفسه: ص٥٢٣.
(٨٣) نفسه: ص٥٢٤.
(٨٤) نفسه: ص٥٢٥.
(٨٥) نفسه: ص٥٢٦.
(٨٦) نفسه: ص٥٢٧.
(٨٧) محمد طاهر درويش: في النقد الأدبي عند العرب، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٩، ص٢١٩.
(٨٨) أحمد عزاوي: مصدر سابق، ص٥٢٢.
(٨٩) ينظر: نفسه.
(٩٠) نفسه: ص٥٢٣،٥٢٢.
(٩١) نفسه: ص٥٢٥.
(٩٢) ينظر: نفسه، ص٥٢٤.
(٩٣) أبو هلال العسكري: كتاب الصناعتين، تحقيق: على محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابلي الحلبي وشركائه ، ص٢٣٩.
(٩٤) السكاكي: مفتاح العلوم، تحقيق: نعيم زرزور، ط٢، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٧، ص١٥٧.
(٩٥) ابن الأثير: المثل الثائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، المكتبة العصرية، ج١، ص٣٨٨.
(٩٦) أحمد عزاوي: مصدر سابق، ص٥٢٥.
(٩٧) نفسه: ص٥٢٤.
(٩٨) نفسه: ص٥٢٦.
(٩٩) نفسه: ص٥٢٧.
(١٠٠) الجاحظ: البيان والتبين، تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، ج١، ١٩٩٨، ص١٥٣.
(١٠١) عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ط١، بيروت، المكتبة العصرية، ٢٠٠٣، ص٥٣.
(١٠٢) أحمد عزاوي: مصدر سابق، ص٥٢٢.
(١٠٣) نفسه: ص٥٢٥.

([١٠٤]) نفسه: ص٥٢٢.

([١٠٥]) نفسه.

([١٠٦]) نفسه.

([١٠٧]) نفسه: ص٥٢٤.

([١٠٨]) نفسه.

([١٠٩]) نفسه: ٥٢٥.

([١١٠]) نفسه: ص٥٢٥.

([١١١]) ينظر: نفسه، ص٥٢٦.

([١١٢]) نفسه: ص٥٢٧.

([١١٣]) نفسه.

([١١٤]) ابن منظور: لسان العرب، ط١، بيروت، دار صادر، المجلد ٤، ١٩٩٧، ص٣٩٤٤.

([١١٥]) ابن الأثير: مصدر سابق، ج٢، ص١٩٤.

([١١٦]) أحمد عزاوي: مصدر سابق، ص ٥٢٢.

([١١٧]) نفسه.

([١١٨]) نفسه.

([١١٩]) نفسه: ص٥٢٤.

([١٢٠]) نفسه.

([١٢١]) نفسه: ص٥٢٥.

([١٢٢]) نفسه.

([١٢٣]) نفسه: ٥٢٦.

([١٢٤]) نفسه.

([١٢٥]) القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، بيروت، دار الكتاب العالمي، ١٩٨٩، ص٢٢٢.

([١٢٦]) السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، ج٢، ط٤، بيروت، دار المعرفة، ١٩٧٨، ص١٣٢.

([١٢٧]) أحمد عزاوي: مصدر سابق، ص٥٢٤.

([١٢٨]) نفسه: ص٥٢٥.

([١٢٩]) نفسه: ص٥٢٦.

([١٣٠]) نفسه: ص٥٢٧.

([١٣١]) نفسه: ص٥٢٢.

([١٣٢]) نفسه.

([١٣٣]) ينظر: نقسه، صفحات: ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٧.

([١٣٤]) نفسه: ص٥٢٣.

([١٣٥]) نفسه: ص٥٢٤.

([١٣٦]) نفسه: ص٥٢٥.

(١٣٧) نفسه: ص٥٢٦.

(١٣٨) نفسه: ص٥٢٢.

(١٣٩) أبو هلال العسكري: مصدر سابق، ص٣٥٣.

(١٤٠) ينظر: أحمد عزاوي، مصدر السابق، صفحات٥٢٧،٥٢٦،٥٢٥،٥٢٤،٥٢٣،٥٢٢.

(١٤١) ينظر: نفسه، ص٥٢٢.

(١٤٢) ينظر: نفسه، ص٥٢٥.

(١٤٣) ينظر: نفسه، ص٥٢٦.

(١٤٤) ينظر: نفسه، ص٥٢٧.

(١٤٥) نفسه: ص٥٢٣،٥٢.

(١٤٦) نفسه: ص٥٢٤.

(١٤٧) نفسه: ص٥٢٥.

(١٤٨) نفسه: ص٥٢٦.

(١٤٩) نفسه: ص٥٢٧.

(١٥٠) نفسه: ص٥٢٦.

(١٥١) نفسه: ص٥٢٧.

(١٥٢) نفسه: ص٥٢٢.

(١٥٣) سورة البقرة: آية(٨٢).

(١٥٤) أحمد عزاوي: مصدر السابق، ص٥٢٢.

(١٥٥) سورة الملك: أية(٥).

(١٥٦) سورة البقرة: آية(٢٣٠).

(١٥٧) أحمد عزاوي: مصدر سابق، ص٥٢٢.

(١٥٨) نفسه: ص٥٢٧.

(١٥٩) سورة الأنفال: آية(٨).

(١٦٠) أحمد عزاوي: مصدر سابق، ص٥٢٤.

(١٦١) سورة الإسراء: آية(٣٣).

(١٦٢) أحمد عزاوي: مصدر سابق، ص٥٢٤.

(١٦٣) سورة: الصف: آية(١٣).

(١٦٤) أحمد عزاوي: مصدر سابق، ص٥٢٥.

(١٦٥) سورة الواقعة: آية(٣٠).

(١٦٦) أحمد عزاوي: مصدر سابق، ص٥٢٥.

(١٦٧) سورة البقرة: آية(٢٣٧).

(١٦٨) أحمد عزاوي: مصدر سابق، ص٥٢٥.

(١٦٩) سورة الحجرات: آية(١٣).

(١٧٠) أحمد عزاوي: مصدر سابق، ص٥٢٦.

(١٧١) سورة الأحزاب: آية(٤٦).

(١٧٢) أحمد عزاوي: مصدر سابق، ص٥٢٢.

(١٧٣) الترمذي(محمد بن عيسى بن سورة): سنن الترمذي، ط٢، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر وآخرون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٣٩٥هـ_ ١٩٧٥م، ٣٠٣/٥، كتاب أبواب الزكاة، باب ما جاء في زكاة مال اليتيم، حديث رقم (٣١٣٧). قال الترمذي: هذا حديث حسن.

(١٧٤) أحمد عزاوي: مصدر سابق، ص٥٢٢.

(١٧٥) أحمد بن حنبل(أبو عبد الله أحمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني المتوفى ٢٤١هـ): مسند الإمام أحمد بن حنبل، ط١، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ، ٤٨٥/٣٦ برقم (٢٢١٦٠)، قال الهيثمي : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح، ينظر: نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، تحقيق حسام الدين المقدسي، القاهرة، مكتبة المقدسي، طبعة ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م، ٢٨١/٧.

(١٧٦) أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ت/٢٧٣هـ: سنن ابن ماجة،ط١، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، دار الرسالة العالمية، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م، كتاب السنة/باب اجتناب البدع والجدل،٣٠/١، حديث رقم (٤٩). وقد ضعفه الألباني جدًا في كتابه: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني(المتوفى ١٤٢٠هـ)، الرياض، دار المعارف، ط١، ١٤١٢، ١٩٩٢.

(١٧٧) ينظر: أحمد عزاوي: مصدر سابق، ص٥٢٦.

(١٧٨)بن حمدويه الحاكم (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد، ت/٤٠٥هـ): المستدرك على الصحيحين، ط١، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ، ١٤١/٤، رقم (٧١٦٤)، وقال الحاكم: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(١٧٩) أحمد عزاوي: مصدر سابق، ص٥٢٢.

(١٨٠) ينظر: عبد اللطيف هداية الله: النوازل الفقهية في العمل القضائي المغربي، ص٣١٩.

(١٨١) ينظر: أحمد عزاوي: نفسه، ص٥٢٥.

(١٨٢) نفسه: ص٥٢٣.

(١٨٣) نفسه: ص٥٢٥.

(١٨٤) نفسه: ص٥٢٧.

(١٨٥) نفسه.

(١٨٦) نفسه: ص٥٢٢.

(١٨٧) نفسه.

(١٨٨) نفسه.

(١٨٩) نفسه.

(١٩٠) نفسه: ص٥٢٤.

(١٩١)() نفسه: ص٥٢٥.

(١٩٢) نفسه: ص٥٢٧.

(١٩٣) نفسه: ص٥٢٣.

(١٩٤) نفسه: ص٥٢٢.

([١٩٥]) نفسه: ص٥٢٤.

([١٩٦]) نفسه: ٥٢٤.

([١٩٧]) نفسه: ص٥٢٦.

([١٩٨]) نفسه: ص٥٢٢.

([١٩٩]) نفسه: ص٥٢٤.

([٢٠٠]) نفسه: ص٥٢٢.

([٢٠١]) نفسه: ص٥٢٢.

([٢٠٢]) نفسه: ص٥٢٣.

([٢٠٣]) نفسه: ص٥٢٤.

([٢٠٤]) شهاب الدين محمود الحلبي: حسن التوسل إلى صناعة الترسل، ت أكرم عثمان يوسف، بغداد، دار الرشيد، ١٩٨٠، ص٢٠٦.

([٢٠٥]) أحمد عزاوي: مصدر سابق، ص٥٢٤.

([٢٠٦]) نفسه: ص٥٢٧.

([٢٠٧]) نفسه: ص٥٢٥.

([٢٠٨]) شهاب الدين محمود الحلبي: مصدر سابق، ص٢١٣.

([٢٠٩]) ينظر: أحمد عزاوي، مصدر سابق، ص٥٢٢.

([٢١٠]) ينظر: نفسه، ص٥٢٥،٥٢٣.

([٢١١]) ينظر: نفسه، ص٥٢٥.

([٢١٢]) نفسه: ص٥٢٦.

المصادر والمراجع

١ – القرآن الكريم.

٢– ابن الأثير: المثل الثائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، المكتبة العصرية، ج١.

٣– إحسان عباس: تاريخ الأدب الأندلسي (عصر الطوائف والمرابطين)،ط٦، بيروت، دار الثقافة، ١٩٨١.

٤– أحمد بن حنبل(أبو عبد الله أحمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني المتوفى ٢٤١هـ): مسند الإمام أحمد بن حنبل، ط١، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ.

٥– أحمد عزاوي:

– رسائل موحدية (مجموعة جديدة)، ج١، ط١، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالقنيطرة، ١٩٩٥.

– رسائل موحدية (مجموعة جديدة)، الجزء الثاني، ط١، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالقنيطرة، ٢٠٠١.

٦– الألباني(أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني): سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة، الرياض، دار المعارف، ط١، ١٤١٢، ١٩٩٢.

٧– باقر سماكة: التجديد في الأدب الأندلسي، بغداد، مطبعة الإيمان، ١٩٧١.

٨– الترمذي(محمد بن عيسى بن سورة): سنن الترمذي، ط٢، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر وآخرون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الباني الحلبي، مصر، ١٣٩٥هـ_ ١٩٧٥م.

٩– الجاحظ: البيان والتبين، تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، ج١، ١٩٩٨.

١٠- ابن حمدويه الحاكم (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد): المستدرك على الصحيحين، ط١، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ.

١١- ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج٧، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار صادر، ١٩٧٨.

١٢- السكاكي: مفتاح العلوم، تحقيق: نعيم زرزور، ط٢، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٧.

١٣- السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، ج٢، ط٤، بيروت، دار المعرفة، ١٩٧٨.

١٤- شهاب الدين محمود الحلبي: حسن التوسل إلى صناعة الترسل، ت أكرم عثمان يوسف، بغداد، دار الرشيد، ١٩٨٠.

١٥- شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي (العصر العباسي الأول)، القاهرة، دار المعارف.

١٦- ظافر عبد الله الشهري: الشكوى في الشعر العربي حتى نهاية القرن الثالث الهجري، ط١، السعودية، مكتبة الملك فهد الوطنية، ٢٠٠٢.

١٧- عباس يد اللهي_ زينب رضابور: شعر الشكوى عند أبي العتاهية وناصر خسرو القباديانى (دراسة موضوعية مقارنة)، بحث منشور ضمن مجلة جامعة أهل البيت، العدد١٥.

١٨- عبد الله بن علي بن ثقفان: الشكوى من العلة في أدب الأندلسيين،ط١، الرياض، مكتبة التوبة، ١٩٩٦.

١٩- عبد العزيز عتيق:

- الأدب العربي في الأندلس، ط٢، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٧٦.

- في النقد الأدبي، ط٢، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٧٢.

٢٠- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ط١، بيروت، المكتبة العصرية، ٢٠٠٣.

٢١- عبد اللطيف هداية الله : النوازل الفقهية في العمل القضائي المغربي، د. ط.

٢٢_ العسكري، أبو هلال: كتاب الصناعتين، تحقيق: على محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابلي الحلي وشركائه.

٢٣- علي جميل مهنأ: الأدب في ظل الخلافة العباسية، ط١، ١٩٨١.
٢٤- عمر عروة، النثر الفني أبرز فنونه وأعلامه، دار القصبة.
٢٥- فايز عبد النبي فلاح القيسي، أدب الرسائل في القرن الخامس الهجري، ط١، عمان_ الأردن، دار البشير، ١٩٨٩.

٢٦- فوزي عيسى: الترسل في القرن الثالث الهجري، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩١.
٢٧- القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، بيروت، دار الكتاب العالمي، ١٩٨٩.
٢٨- القزويني(أبو عبد الله محمد بن يزيد): سنن ابن ماجة،ط١، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، دار الرسالة العالمية، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م.
٢٩- القلقشندي: صبح الأعشى، ج٨، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٩٢.

٣٠- الكلاعي: إحكام صنعة الكلام، تحقيق: محمد رضوان الداية، بيروت، دار الثقافة، ١٩٦٦.

٣١- محمد طاهر درويش: في النقد الأدبي عند العرب، القاهرة، دار المعارف،١٩٧٩.

٣٢- محمود محمد عبد الرحمن خياري: أدب الرسائل الديوانية في المغرب والأندلس في عهد الموحدين، رسالة ماجستير منشورة، الجامعة الأردنية، كلية الدراسات العليا، ١٩٩١.

٣٣- المراكشي: الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، المجلد الخامس، ط١، تحقيق: إحسان عباس، محمد بن شريفة، بشار عواد معروف، تونس، دار الغرب الإسلامي، ٢٠١٢.

٣٤- ابن منظور: لسان العرب، ط١، بيروت، دار صادر، المجلد ٤، ١٩٩٧.

٣٥- الناصري: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق: جعفر الناصري، محمد الناصري، الدار البيضاء، دار الكتاب، ١٩٥٤.